السياق القرآني وأثره في تحديد المعاني التفسيرية والفقهية لحروف الجر في القرآن الكريم

(نماذج من القرآن الكريم)

إعداد

د. آمنه أحمد محمد عبد الحميد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

السياق القرآني وأثره في تحديد المعاني التفسيرية والفقهية لحروف الجر في القرآن الكريم (نماذج من القرآن الكريم)

آمنه أحمد محمد عبد الحميد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: amenaahmed067@gmail.com

الملخص:

إن الناظر في كتب التفسير واللغة يجد بعض المفسرين وعلماء اللغة عند تعرضهم لحروف الجر قد ذكروا لها أ كثر من معني فهل لكل حرف معني أصلي أم أن له أكثر من معني فجاءت هذه الدراسة لتوضح أن لكل حرف من حروف الجر معني أصيلًا لا يتعداه لغيره والذي يوضح هذا المعني هو السياق القرآني الذي تقع فيه حروف الجر مع ذكر السر في التعبير بحروف الجر لما له دور بارز في إيضاح المعاني التفسيرية والأحكام الفقهية المترتبة على معاني حروف الجر في القرآن الكريم.

وقد تكوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث والخاتمة والفهارس أما المقدمة: تشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج والخطة، والتمهيد، ويشمل تعريف السياق وأثره في التفسير وأهميته وأقوال العلماء فيه وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحرف وأهميته في الكلام والتعريف بحروف الجر وعملها وعددهاومعانيها في كتب اللغة والتفسير والمبحث الثاني: أثر السياق

القرآني في تحديد المعاني التفسيرية لحروف الجر في القرآن الكريم ونماذج مختارة من القرآن الكريم.

والمبحث الثالث: أثر السياق القرآني في تحديد المعاني التفسيرية والأحكام الفقهية المترتبة على معنى حرف الجر "إلى". خاتمةٍ: فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي (الوصفي – التحليلي – الاستقرائي).

***النتائج:** من أهمِّها أن للسياق دور بارز في تفسير كتاب الله تعالى وفهم معانيه وأوجه إعجازه.

* أن حروف الجر قد تتنوع معانيها حسب السياق الذي تقع فيه حروف الجر.

* أن القول بتناوب حروف الجر يفوت كثيرًا من المعاني والأسرار والدلالات لحروف الجر.

*أن لحروف الجر أثر في المعاني التفسيرية والأحكام الفقهية حسب السياق الذي تقع فيه ومن ذلك حرف الجر "إلى".

* اهتم البحث بربط السياق القرآني بالمعاني التفسيرية من خلال معاني حروف الجرفي القرآن الكريم مع ذكر شواهد لذلك

أهم التوصيات: الاهتمام بدراسة السياق القرآني وأثره في إظهار المعاني التفسيرية لكتاب الله تعالى لأنه هو الذي يحدد المعني المراد من كتاب الله عز وجل وهو يوصل إلي التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى.

*الاهتمام بدراسة حروف الجر ودلالتها ومعانيها وأثرها في السياق القرآني فلكل حرف معني مختلف عن غيره يحددها السياق القرآني، وإيضاح سر التعبير بكل حرف من حروف الجر وأن المعني لا يستقيم إذا خرج عن أصل معناه.

*الوقوف علي الأحكام الفقهية والمعاني التفسيرية المترتبة علي معاني حروف الجر في القرآن الكريم والعمل بموجبها.

الكلمات المفتاحية: أثر –السياق – القرآني – المعاني – التفسيرية – حرف الجر.

The Qur'anic context and its impact on determining the interpretive and doctrinal meanings of prepositions in the Qur'an (examples of the Qur'an)

Amnah Ahmed Mohamed Abd El , Hamid
Department of Interpretation and Qur'anIc Sciences, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: amenaahmed067@gmail.com

Abstract:
The principal in the books of interpretation and language finds some interpreters and linguists when exposed to prepositions have mentioned more than one meaning, does each letter have an original meaning or does it have more than one meaning, and this study shows that each preposition has an inherent meaning that does not exceed others, which explains this meaning of the Qur'anic context in which the prepositions fall while mentioning the secret in the expression in letters of traction because it has a prominent role in clarifying the interpretive meanings and doctrinal provisions of the meanings of the letters of the letters of the Qur'an.
The research may be from an introduction, a prelude, three investigations, a conclusion and indexes, but the introduction: the importance of the subject, the reasons for its choice, the approach and the plan, and the preface, and includes the definition of context and its impact on interpretation and its importance and the statements of its scholars and three investigations:
The first is the definition of the letter and its importance in speech and the definition of traction letters, their work, their number and meanings in the language books, interpretation and the second: the effect of the Qur'anic context in determining the interpretive meanings of prepositions in the Qur'an and selected models of the Qur'an.
The third is the effect of the Qur'anic context in determining the interpretive meanings and doctrinal provisions of the meaning of the preposition "to". Conclusion: The most

important findings of the research, some proposals, the most important sources and references, and the index of topics.
Curriculum: In this research, I followed the integrative (descriptive, analytical- inductive) approach.
Results: One of the most important is that context has a prominent role to play in interpreting the Book of Allah and understanding its meanings and miracles.
* Prepositions may vary in meaning depending on the context in which the prepositions are located.
* To say that the rotation of prepositions misses many meanings, secrets and semantics of prepositions.
*The prepositions have an impact on interpretive meanings and doctrinal provisions according to the context in which they occur, including the "to" preposition.
* The research was interested in linking the Qur'anic context to interpretive meanings through the meanings of the letters of the Qur'an with the mention of evidence of this.
The most important recommendations: interest in studying the Qur'anic context and its impact on showing the explanatory meanings of the Book of Allah Almighty because it is he who determines the meaning of the Book of Allah Almighty and brings to me the correct interpretation of the Book of Allah Almighty.
*Interest in the study of prepositions, their significance, meanings and their impact in the Qur'anic context, each letter has a different meaning defined by the Qur'anic context, explaining the secret of expression in each preposition and that the meaning is not right if it deviates from the origin of its meaning.
*To identify the doctrinal provisions and interpretive meanings of the prepositions in the Holy Quran and to act under them.
Keywords: Effect - Context - Qur'anic - Meanings - Explanatory - Traction.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أودعَ في كتابهِ أسرارَ البيانِ، وتحدى به الناسَ على اختلافِ ملكاتهم، وتعدد قدُراتهم لتظلَّ آياتُه خالدة وهديهُ محكمٌ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم وفق أهل العلم إلى تفسيره، وبيان أحكامهِ، والكشف عن دلالاته، وإظهار إعجازه للعالمين، فقد تعاقبت عليه أفهامُ العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فاحتج به النحوي، ونهل منه البلاغي، ونظر فيه المفسر، وتأمل فيه الفقيه، وتوقف عنده المتكلم، وأفاد منه المناظر والأديب، فلم يمنع واحدًا منهم وِرده، بل وجد كلهم فيه مبتغاه وقصدَه، وهو مع ذلك متجدد المعاني مع تجدد الأيام، من لدن سيدنا محمد ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أما بعد،،،

فإن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة وكلمة الله إلى الناس كافة وهو كتاب العربية الأول ودستورها الأعظم وسيبقى منهلًا للباحثين إلى يوم الدين.

وإن أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون ويشتغل فيه المشتغلون هو كتاب الله عز وجل تعلمًا وتعليمًا،

ومن الحقائق الناصعة، أن اللغة العربية هي أعظم أسباب العلم الشرعي ولا يفهم الوحي الإلهي إلا عن طريقها»[1] وقد أنزل كتابه الكريم بلغة العرب،

(١) ينظر الحيوان للجاحظ ١/ ١٥٤.

فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، ومن هنا كانت حياة اللغة العربية كامنة في آيات الذكر الحكيم المشتملة على أصول اللغة، ومعانيها، وأسرارها، ودقائقها، والذي يظهر هذه المعاني والأسرار هو السياق القرآني الواردة فيه الآيات

ولما كانت اللغة وسيلة التبيين والتعبير عما يعتلج في صدر الإنسان من معاني وأفكار، و هي مشتملة على أسماء وأفعال وحروف، وهذه الثلاثة أنواع يظهر أثرها في السياق بارتباط بعضها مع بعض، كان لزامًا أن يهتم بها العلماء في كتبهم حتي يفهموا معاني القرآن و أسراره فكل حرف في كتاب الله له دلالاته ومعانيه وأسراره التي لا يؤديها غيره وصدق الله حيث قال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2].

أهمية الموضوع:

* تعتبر حروف الجر في اللغة العربية ذات أهمية كبيرة وذلك لما تمتلك من بيان بلاغي وبديع في مجال النثر والنظم، ولذلك اهتم بها المفسرون وذكروا أسرارها ومعانيها وتنوعت المعاني عندهم لتنوع معاني هذه الحروف حسب السياق الذي تقع فيه. وذلك لأنها تسهم في تغير مسار التركيب وذلك من خلال ما يحمله من معاني تقع مسؤولية إيصالها إلى ما بعدها على عاتقه وذلك في ضوء التعدد الوظيفي لحرف الجر وتعدد معانيه وما يدل عليه هذا التعدد من أثر في الاختلافات التفسيرية والفقهية.

* ومن أهميتها أنها جاءت للربط والإحكام والقوة بين عناصر الجملة

(١) سورة يوسف: الآية رقم (٢) .

(٢) سورة هود الآية (١) .

وجاءت للاختصار حيث تنوب الحروف عن الكلمة أو الجملة التي تؤدي معناها كحروف النداء والنفي والاستثناء كما أشار إلى ذلك ابن جني في الخصائص(١).

* وقد ذكر الحسن بن قاسم المرادي أهمية الحروف ودورها في إبراز المقاصد والأغراض وتوقف دلالات النظم وأسراره على إدراك مرامي الحروف ومنبهًا على ضرورة المكابدة والمعاناة في استجلاء معانيها وأسرارها، فقال: «فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنيًا أكثرها على معاني حروفه صُرفت الهمم إلى تحصيلها ومعرفة جملتها وتفصيلها وهي مع قلتها وتيسر الوقوف على جملتها فقد كَثُر دورها وبَعُد غورها فعزَّت على الأذهان معانيها وأبتْ الإذعان إلا لمن يُعانيها»(٢).

* فحروف المعاني ومن بينها (حروف الجر) باب عظيم من أبواب العربية، وقد تناثرت حولها دراسات في كتب اللغة والتفسير وعلوم القرآن، بل خصص لها بعضهم بابًا مستقلًا كالزركشي والسيوطي.(٣)وقد اهتم بدراستها سائر أهل اللغة والنحو؛ لأنها وسائل الربط في التركيب الذي ينصب عليه عمل النحوي، كما اهتم بها أهل الفقه والأصول؛ لأنها تدخل في تحديد

(١) ينظر: الخصائص لابن جني (٢/ ٢٧٦) .

(٢) ينظر: الجنى الداني. صـ ١٩، ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، للأستاذ الدكتور/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن الزركشي ٤/ ١٧٥الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، صـ ٢٧٣.

الأحكام الفقهية والأصولية، تبعًا لدلالاتها المختلفة[١].

ولذا كان لابد من دراستها ومعرفة معانيها من خلال السياق القرآني وهو: تتابع الألفاظ والجمل والتراكيب القرآنية المتناسقة والمترابطة لأداء المعني وفهمه على مراد الله تعالي. فالمعاني القرآنية يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق التي وردت فيه.

* وذلك لأن السياق القرآني له أثر كبير في تفسير كتاب الله عز وجل إذ أنه يربط بين الآية وسابقتها ، وترجع أهمية السياق إلى استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له واعتماده عليه في التفسير وسار على دربه السلف الصالح في اهتمامهم به، واعتمادهم عليه في فهمهم وتفسيرهم للقرآن الكريم، وجعله أصلًا من الأصول التي يرجع إليها عند اشتباه المعاني، وإنكارهم على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي وردت لأجله.

وقد ذكر الإمام الطبري في أهمية السياق أنه: "توجيه الكلام إلى ما كان نظيرًا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلًا عنه"[٢].

وقال إمام الحرمين الجويني: "المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق[٣]".

* وحسبنا أن نعلم كيف يُغيّر حرف الجر المعنى ويقلب دلالته إلى

---

(١) ينظر: الأصول في النحو أبو بكر ابن السراج ١/ ٤٢٧، ٤٢٨ شرح المفصل لابن يعيش، (٢/ ٨) .

(٢) ينظر :جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، جـ ٥/ صـ ١١٧ .

(٣) ينظر: البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبي المعالي، جـ ٢/ صـ ٨٧٠.

معنى آخر حتى يصير للفظ الواحد أكثر من معنى حسب الحرف المتعدي به، وحسب السياق القرآني ومن ذلك الفعل (رَغِبَ) فقد يأتي متعديًا بـ (إلى) أو (في) أو (عن) أو (الباء)، ومع كل حرفٍ يتعدى به تتجدد له معانٍ ودلالات، يقول الراغب: «أصل الرغبة السعة في الشيء، يقال: رغب الشيء، أي: اتسع، وحوض رغيب، وفلان رغيب الجوف، والرغبة والرغبى: السعة في الإرادة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(١)، وإذا قيل: رغب في وإليه، يقتضي الحرص عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾(٢)، وإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾(٣)».(٤)

* قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾(٥) بأن الرغبة هي الضن والبخل(٦).

فقد أفاد فعل الرغبة كل هذه المعاني المختلفة التي وصلت إلى حد التناقض بسبب الحروف التي تعدي بها هذا الفعل بما تدل عليه من معاني مختلفة والارتباط بين الحرف وما وصل به وما تعدى به، فهو حين تعدى إلى المرغوب بـ (في) الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة وأنبأ ذلك عن معنى: الحرص وكأنه أفرغ كل رغبته فيه، وحين تعدى بـ

(١) سورة الأنبياء من الآية ٩٠.
(٢) سورة التوبة من الآية ٥٩.
(٣) سورة البقرة من الآية ١٣٠.
(٤) ينظر المفردات للراغب (١٩٨) .
(٥) سورة التوبة من الآية ١٢٠.
(٦) ينظر تفسير الكشاف ٢/ ٢٢٠.

(إلى) التي تدل على انتهاء الغاية أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه وتوجهه إليه وانصرافه عما عداه ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، وحين تعدى بـ (عن) دلَّ على ما اكتسبه من معنى هذا الحرف على الانصراف عن الشيء وتجاوزه كما في: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وحين تعدى بـ (الباء) التي تفيد الإلصاق دل على أن إلصاق الرغبة بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها كما ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾. وهذا يدل على أثر الارتباط بين حرف الجر والفعل الذي يتعدى به وما يدل عليه من معاني مختلفة ومتنوعة يحددها السياق القرآني فجاءت هذه الدراسة.

ولما كنت بصدد العزم على قيامي بعمل بحث بعد رسالتي في الدكتوراه فوفقني الله لاختيار موضوع متعلق بكتابه الكريم وجاء عنوانه:

(السياق القرآني وأثره في تحديد المعاني التفسيرية والفقهية لحروف الجر في القرآن الكريم. نماذج مختارة من القرآن الكريم)

وذلك لأن حروف الجر تؤثر في المعنى المقصود من كتاب الله، فكل حرف له معنى يختلف عن غيره، وقد يختلف هذا المعنى حسب السياق القرآني، وقد يؤدي تنوع المعاني إلى إظهار ما في كتاب الله من دلالات وأسرار قد ينبني عليها معاني تفسيرية وأحكامٌ فقهية .

ومن أسباب اختيار الموضوع ما يلي:

١) خدمة كتاب الله عز وجل بقراءته وتدبر آياته وفهم معانيه من خلال السياق القرآني إذ هو خير ما تفني فيه الأعمار وتصرف فيه الأوقات.

٢) شرف هذا العلم إذ شرفه شرف المعلوم وهو كتاب الله عز وجل.

٣) إبراز معاني حروف الجر في القرآن الكريم التي تتنوع حسب سياق الآيات.

٤) أهمية علم السياق القرآني كونه أصلًا عظيمًا من أصول التفسير التي يجب أن يعتمد عليها في تفسير القرآن الكريم.

٥) كون السياق القرآني من أعظم وجوه إعجاز القرآن ودلائله والتي تظهر القرآن كأنه كلمة واحدة ترتيبًا وتماسكًا.

٦) إظهار معاني حروف الجر التي جعلت المفسرين تتعدد أقوالهم فيها وبنوا عليها أقوالهم في تفسير كتاب الله واستنبطوا من ذلك معاني تفسيرية وأحكامًا فقهية.

الدراسات السابقة: وردت مؤلفات حول السياق ومعاني حروف الجر من أهمها:

* السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، لعبد الرحمن عبد الله المطيري

* السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة سعيد محمد الشهراني، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.

* حروف المعاني وأثرها في اختلاف الفقهاء رسالة دكتوراه للدكتور/ حسين الترتوري.

* أثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية على سورتي آل عمران والنساء رسالة ماجستير من إعداد الطالب على الجهني. وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة لحروف الجر في كتب النحو والتفسير وعلوم القرآن وهذه الدراسات شملت معاني لكنها تحتاج إلى دراسة

حروف الجر وإظهار معانيها وأسرارها من خلال السياق القرآني.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على عدة أنواع من المناهج هي:-

المنهج الوصفي: اعتمدت عليه عند الحديث عن معني السياق في اللغة والاصطلاح وبيان أهميته وأنواعه وأقوال العلماء في أهميته .

المنهج التحليلي حيث اعتمدت فيه على دراسة الآيات التي تحدد معاني حروف الجر وأثرها في السياق القرآني بالشرح والتحليل والتفسير واستخراج النتائج منها.

واعتمدت أيضًا على المنهج الاستقرائي فقد قمت بذكر معاني حروف الجر التي ورد لها معاني في كتب اللغة والتفسير والتي وقع فيها الخلاف بين البصرين والكوفيين في موضوع الإنابة وتعدد المعاني وهي ثمانية أحرف وهي: " من" و "إلى "و "عن" و" على "و "الباء" و"الكاف" و"اللام" و "في".

* وقد قمت باستقراء معاني حرف الجر "إلى"، على سبيل الخصوص واستقرأت الأثر المترتب عليه في كتب التفسير والفقه وتتبعت ذلك لاستنتاج القاعدة التي أسير عليها في الأحكام المترتبة على دخول ما بعد حرف الجر "إلى" في حكم ما قبله عن طريق دراسة تطبيقية لنماذج من آيات الذكر الحكيم واكتفيت بذكر ثلاث آيات "آيتي الصيام وإنظار المعسر "في سورة البقرة و"آية الوضوء "في سورة المائدة.

خطة البحث:

* اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من: مقدمة وتمهيد وقسمين للدراسة. القسم الأول، الدراسة النظرية والقسم الثاني :قسم الدراسة التطبيقية .

أمـا المقدمـة: فتشـتمل علـى أهميـة الموضـوع وأسـباب اختيـاره ومـنهج البحث والدراسات السابقة وخطة البحث.

*** القسم الأول:- الدراسة النظرية فيشتمل على:-تمهيد ومبحث واحد :-**

أولاً- التمهيد: يتضمن تعريف السياق لغة واصطلاحاً وأهمية السياق القرآني وأقوال العلماء في أهميته وأثره في التفسير وتحديد المعاني التفسيرية.

المبحث الأول: بعنوان حروف الجر في العربية ويشتمل علي ثلاثة مطالب:

الأول: تعريف الحرف لغة واصطلاحاً وأهميته في الكلام .

الثاني : التعريف بحروف الجر وعددها وعملها وأقسامها وأنواعها .

الثالث : معاني حروف الجر

أما القسم الثاني قسم الدراسة التطبيقية بعنوان:-

*** السياق القرآني وأثره في تحديد المعاني التفسيرية والفقهية لحروف الجر في القرآن الكريم *(نماذج مختارة من القرآن الكريم) ويشتمل على:**

*** المبحث الثاني:** أثر السياق القرآني في تحديد المعاني التفسيرية لحروف الجر "علي" و "في" و"الباء" و"إلي "و "عن" و"اللام" و "من" والكاف" .

المبحث الثالث: السياق القرآني وأثره في تحديد المعاني التفسيرية والأحكام الفقهية المترتبة على معني حرف الجر "إلى" من خلال (آيتي الصيام و إنظار المعسر في سورة البقرة)و(آية الوضوء من سورة المائدة).

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

مفهوم السياق القرآني، وأهميته.

أولاً: تعريف السياق القرآني في اللغة والاصطلاح:

أولاً: السياق في اللغة:

أصل "السياقِ" في اللغة: سواق، قُلبت الْواو ياء لكَسرة السينِ(١)".

وقال الزمخشري: "وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و"إليك يساق الحديث " وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"(٢).

وفي لسان العرب لابن منظور: "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا...، وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت"(٣).

و من خلال ما سبق : يتضح أن معني السياق في اللغة يدور حول معنى التتابع والاتصال، "فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"(٤).

ثانيًا: السياق في الاصطلاح:

انقسم الباحثون في تعريف السياق اصطلاحًا إلى فريقين:

الفريق الأول: حصروا السياق في الجانب المقالي فقط ضمن حدود السباق واللحاق، فهم يرون أن دلالة السياق مقصورة على المقال دون الحال

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدي، جـ ٢٥/ صـ ٤٧٥، مادة: سوق.
(٢) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري، جـ ١/ صـ ٤٨٤، مادة: "سوق".
(٣)ينظر: لسان العرب لابن منظور، جـ ١٠/ صـ ١٦٦، مادة: "سوق".
(٤)ينظر: المعجم الوسيط، جـ ١/ صـ ٤٦٥ .

وهو ما يسميه أهل اللغة بالسياق اللغوي، أو السياق المقالي.

وقد ورد للسياق عدة معان متعددة منها :

*أن السياق هو :ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"[١].

والسياق القرآني: هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، من دون انقطاع أو انفصال"[٢].

*وقيل إنه: تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده. ودلالة السياق هي فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده.

وتعرف دلالة السياق في التفسير: "بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له"[٣].

*وقيل السياق القرآني هو: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.

وعرف دلالة السياق القرآني بأنه: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة[٤].

الفريق الثاني: جعلوا السياق شاملًا للمقال المتمثل في السابق واللاحق،

---

(١) ينظر :حاشية البناني على جمع الجوامع، جـ ١/ صـ٢٠.

(٢)ينظر: نظرية السياق للباحث المثنى عبد الفتاح، صـ ١٥.

(٣) ينظر: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري لعبد الحكيم القاسم، ص٦٢.

(٤) ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، لعبد الرحمن عبد الله المطيري ٧١ .

وشاملًا كذلك للحال أو المقام، وعلى ذلك فالسياق ينقسم إلى قسمين:

*السياق اللغوي أو سياق المقال ويتمثل في: الجمل المكونة والسابقة واللاحقة لنص الخطاب المراد تفسيره واستخلاص المقصود منه.

*السياق أو الحالي أو سياق المقام: ويعنون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه: كحال المتكلم، والمخاطب، والغرض الذي سيق له... إلخ.

يقول الدكتور تمام حسان متحدثًا عن السياق: "هو ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب، سواء كانت القرائن مقالية أو حالية[١].

وقيل أيضاً في تعريف السياق القرآني بأنه: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثرٌ في فهمه من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"[٢].

وقيل بأنه: النظم التركيبي للكلام الذي يوجه دلالة الكلمات والجمل والفقرات؛ بناء على موقعها في النص، واستنادًا إلى العلاقات المعنوية بينها؛ بما يتفق في النهاية مع الغرض العام للكلام، ومع جملة الظروف الخارجية المصاحبة له[٣].

---

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن لتمام حسان، جـ ١/ صـ ٢٢١ – بتصرف.

(٢) ينظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة سعيد محمد الشهراني: ٢٢، رسالة دكتوراه غير مطبوعة جامعة أم القرى. نقلاً عن: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، صـ ٦٥.

(٣) ينظر: الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع ==

ويقول صاحب كتاب دلالة السياق: "وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاثة التالية:

الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام...

الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام.

الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهًا استدلاليًا[1]".

* والمذهب الأول في تعريف السياق وهو أنه يقتصر على السياق اللغوي أو المقالي فقط هو الراجح، وذلك لأن العلماء قديمًا استخدموا مصطلح السياق وكانوا يقصدون منه السياق اللغوي أو المقالي، كما كانوا يفرقون بين دلالة المقال ودلالة الحال[2] فيعبرون عن الدلالة الأولى

==

الهجريين "دراسة بلاغية في التراث العربي"، صـ ٥٥.

(١) ينظر: دلالة السياق، للباحث درة الله بن درة بن ضيف الطلحي، جـ ١/ صـ ٣٩، ٤٠.

(٢) من هؤلاء العلماء الذين فرقوا بين دلالة المقال ودلالة الحال وعبروا عن الأولى بمصطلح السياق وعن الثانية بالحال أو المقام، ابن دقيق العيد . ينظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد جـ ٢ ص ٢١ .وابن تيمية – حيث قال: " ويعلم من سياق الكلام وحال المتكلم ". ينظر: درء تعارض العقل والنقل جـ ١/ صـ ١٢ .وابن القيم حيث قال: "وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد

==

بمصطلح السياق فيما يعبرون عن دلالة الحال بالحال أو المقام أو قرائن الأحوال ولم يعبر أحد منهم عن الحال بمصطلح السياق.

* ومن خلال القراءة في كتب القدامى فقد وردت نصوص لهم تدل دلالة واضحة على شمول مفهوم السياق لدلالة الحال أو المقام، فهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني : " يقرر صراحة في ثنايا كلامه اشتمال السياق على قرائن الأحوال فيقول: "كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق"(١).

والإمام الشاطبي "يجعل دلالة الحال من السياق فيقول: "وأيضًا؛ فالأوامر والنواهي من جهة اللفظ على تساوٍ في دلالة الاقتضاء، والتفرقة بين ما هو منها أمر وجوب أو ندب وما هو نهي تحريم أو كراهة لا تعلم من النصوص، وإن علم منها بعض؛ فالأكثر منها غير معلوم، وما حصل لنا الفرق بينها إلا باتباع المعاني، والنظر إلى المصالح، وفي أي مرتبة تقع، وبالاستقراء المعنوي، ولم نستند في رد الصيغة، وإلا لزم في الأمر أن لا يكون في الشريعة إلا على قسم واحد، لا على أقسام متعددة، والنهي كذلك أيضًا، بل نقول: كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد

==

ظهر وعرف إما بدلاله الحال كمن قيل له كل فقال لا والله الذي لا إله إلا هو أو بدلالة السياق وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن". ينظر التبيان في أقسام القرآن، صـ ١٠ .

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ ٩/ صـ ٩٧ .

أو حمار، أو عظيم الرماد[١]، أو جبان الكلب[٢]، وفلانة بعيدة مهوى القرط[٣]، وما لا ينحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول"[٤].

ومن خلال ما سبق يمكن إضافة دلالة الحال إلى مفهوم السياق، مع الإقرار في الوقت نفسه بأن هذا النوع أقل من النوع الأول – أعني دلالة النص أو المقال – من حيث حجم النصوص الداعمة له، ولهذا ستكون الغالبية العظمى من الأمثلة والاستشهادات في هذا البحث من القسم الأول وهي دلالة النص، أو السياق اللغوي.

ثانيًا: أهمية السياق القرآني:

يعتبر السياق القرآني الذي ترد فيه الألفاظ من أقوي العوامل المحددة للمعاني التفسيرية ، ومعرفة أي معانيها أولى بالتقديم، والقبول، لذا كان

---

(١) يقال فلان عظيم الرماد: أي كثير إطعام الطعام. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبي الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، جـ ٢/ صـ ١٨٨.

(٢) يقال فلان جبان الكلب: كناية عن الجود والكرم، وكثرة قراه للأضياف، لأن جبن الكلب يكون لكثرة الواردين عليه من الأضياف. ينظر المنهاج الواضح للبلاغة جـ ٣/ صـ ٨٠، صـ ٣٣٣.

(٣) فلانة بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول العنق، فمهوى القرط هو المسافة بين شحمة الأذن إلى الكتف، وطول هذه المسافة يفهم منه: أن العنق طويل. ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني، جـ ٥/ صـ ١٥٤.

(٤) ينظر: الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، جـ ٣/ صـ ٤١٩، ٤٢٠.

للسياق القرآني أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم، فهو أصل عظيم من أصول التفسير، لا غنى للمفسر عنه، لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح في الآية .

* **وتتجلى أهمية السياق القرآني من خلال ما يلي:**

أولاً: السياق من تفسير القرآن بالقرآن.

السياق مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن بل هو أعلى درجات تفسير القرآن بالقرآن إذا كان صريحًا؛ لأنه تفسير الآية بما تضمنته من الدلائل والقرائن وبحسب مناسبتها لما قبلها وبعدها ، وذلك يؤكد أهميته، واعتباره أصلًا في التفسير.

وقد ذكر صاحب قواعد الترجيح عند المفسرين عند حديثه عن تفسير القرآن بالقرآن : «وبعد طول تأمل في هذا المصطلح ظهر لي – والله أعلم – أنه ينقسم إلى قسمين؛ أحدهما توقيفي: وهو أن يكون في الكلام لبسٌ وخفاءٌ فيأتي بما يزيله ويفسره، إما بعده مباشرة أو في موضع آخر وارد مورد البيان له، ومن أمثلته تفسير الهلوع في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ بقوله بعده ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج ١٩ – ٢١]، وتفسير الطارق في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ﴾ [الطارق: ١، ٢] بقوله: ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾ [الطارق: ٣].

وتفسير أولياء الله في قوله سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس: ٦٢]، بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٣].

فهذا القسم ولا شك أنه أبلغ أنواع التفسير، ولا قول لأحد معه، ومثله لا يتخلف فيه، وهو الذي يصنف من التفسير بالمأثور"[1].

ثانيًا: السياق ركن من أركان الإعجاز القرآني:

فالقرآن الكريم حجة الله البالغة، وآياته المتجددة، ومعجزة الرسول الخالدة، معجزة لكل جيل، معجزة في كل عصر ومصر، معجزة للبشرية جمعاء في شتى أطوار حياتها، بل معجزة أيضًا للجن يقول عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ويعتبر السياق من أعظم وجوه الإعجاز القرآني ودلائله التي تظهر القرآن كأنه كلمة واحدة ترتيبًا وتماسكًا.

وقد بين الإمام عبد القاهر الجرجاني سر الإعجاز في الآية بقوله: "فقيلَ لنا: قد سمعنا ما قلْتم، فخبرونا عنهم، عما ذا عجزوا؟ أعن معان من دقَّة معانيه وحسنِها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظٍ مثْلِ ألفاظه؟ فإنْ قلْتم: "عنِ الألفاظ"، فماذا أَعجزهم من اللفظ، أم ما بهرهم منه؟

فقلنا: أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيهِ ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضربِ كلَّ مثلٍ، ومساقِ كلَّ خبرٍ، وصورة كلَّ عظَةٍ وتنبيهٍ،

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي، جـ ١/ صـ ٣٢٠، ٣٢١ .

وإعلامٍ وتذكيرٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ، ومع كلِّ حجةٍ وبرهانٍ، وصفةٍ وتبيان وبهرهم أنهم تأملوه سورةً سورةً، وعشرًا عشرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبوا مكانها، ولفظةً ينكر شانها، أو يرى أنَّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلَق، بل وجدوا اتساقًا بهر العقولَ، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا، لم يدع في نفسِ بليغٍ منهم ، موضع طمعٍ، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول "[1].

وذكر الإمام الرازي :"أن من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"[2].

ثالثًا: إعمال النبي – ﷺ – لدلالة السياق، واعتباره لها في التفسير.

مما يدل على أهمية السياق استعمال النبي – ﷺ – له، واعتماده عليه في التفسير، فقد ورد عنه – ﷺ – عدة أحاديث فسر فيها بعض الآيات القرآنية معتمدًا على سياق هذه الآيات، منها :

١ – ما روي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سألت رسول الله – ﷺ – عن هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟

قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ

(١) ينظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني جـ ١/ صـ ٣٩ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، جـ ٧/ صـ ١٠٦ .

﴿ ﴾ [المؤمنون: ٦١]»[1].

ففي هذه الآية استخدم النبي – ﷺ – السياق في تفسير الآية الكريمة، وتصحيح الفهم الذي فهمته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – منها، حيث ظنت أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ العصاة الذين يرتكبون المعاصي، ويقترفون كبائر الذنوب، وهم خائفون من لقاء الله عز وجل، فبين النبي ﷺ المعنى الصحيح للآية الكريمة معتمدًا على السياق، واستدل بلحاق الآية وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ على أن المراد الذين يعملون الطاعات وهم خائفون ألا يتقبل منهم لتقصيرهم في حق الله ،فهم يجتهدون في الطاعة ويخلصون العمل لله ومع ذلك يخافون ألا يتقبل الله منهم وهذا حال المخلصين لله في أعمالهم .

٢ – ما روي عن أم مبشر، أنها سمعت النبي – ﷺ –، يقول عند حفصة: "لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها" قالت: بلى، يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢][2].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ،باب ٢٣ ومن سورة المؤمنون، ٥/ صـ ٣٢٧، برقم (٣١٧٥) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ صـ ٣٠٤، ٣٠٥، برقم (١٦٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى ==

وفي هذه الآية أيضًا استخدم النبي – ﷺ – السياق في تفسير الآية الكريمة، وتصحيح الفهم الذي فهمته أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – من قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؛ حيث فهمت منها أنه ما من أحد إلا سيلج النار ويدخلها، فلما أخبر النبي – ﷺ – أنه لن يدخل النار أحد من أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة إلا أن يشاء الله، وكان عندها هذا الفهم للآية الكريمة، فقالت يا رسول الله إن الله – تبارك وتعالى – يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فأرشدها النبي – ﷺ – كي يصحح هذا الفهم الذي فهمته إلى لحاق الآية الكريمة وهو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾.

رابعًا: إعمال السلف لدلالة السياق، واهتمامهم بها في التفسير.

فقد اعتنى السلف الصالح – رحمة الله تعالى عليهم – بالسياق، واعتمدوا عليه في فهمهم وتفسيرهم للقرآن الكريم، وجعلوه أصلًا من الأصول التي يرجع إليها عند اشتباه المعاني، وأنكروا على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي وردت لأجله.

ومن الأمثلة التي تدلل على اهتمام السلف بالسياق في التفسير ما يلي :

١ – ما روي عن يسيع الحضرمي، قال: جاء رجل إلى علي رضي الله عنه قال: «يقول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

==

عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ، جـ ٤/ صـ ١٩٤٢، برقم (٢٤٩٦).

وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء: ١٤١]، وهؤلاء المؤمنون يقتلون؟! فقال له عليّ: ادْنُه، ادْنُهْ! ثم قال :"فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا» يوم القيامة(١).

ففي هذه الآية استشكل على هذا السائل فهم قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾؛ حيث يخبرنا الحق – تبارك وتعالى – أن الكافرين لن يكون لهم سبيل على المؤمنين أبدًا، مع أن الواقع يظهر لنا أن الكافرين يظهرون على المؤمنين ويقتلوهم، فسأل عن ذلك عليًا – ﷺ – فأرشده إلى فهم الآية من خلال السياق، وأوضح له معناها مستعينًا على ذلك بسابقها، وبيَّن أن المراد بذلك يوم القيامة بدليل أنه عطف على قوله تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾.

٢ – ما روي عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه: "يخرج الله قومًا من النار فيدخلهم الجنة". فقال له رجل في حديث عمرو إن الله يقول: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة: ٣٧]، فقال: جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عامًا، هذه للكفار اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ

(١) حديث صحيح: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، جـ ١/ صـ ٤٨١، برقم (٦٤٧)، والطبري في تفسيره جـ ٢/ صـ ١٢٥، برقم (١٠٧١٤)، والضياء في الأحاديث المختارة جـ ٢/ صـ ٤٠٦، ٤٠٧، برقم (٧٩٣) ، وقال إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك جـ ٢/ صـ ٣٣٨، برقم (٣٢٠٦) .

أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ ﴾ هذه للكفار"[1].

ففي هذا الأثر المروي نرى أن أحدهم استشكل عليه فهم قول النبي – ﷺ –: "يخرج الله قومًا من النار فيدخلهم الجنة"، وذلك عند سماعه هذا من جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – فقال له الرجل كيف هذا والله – تبارك وتعالى – يقول: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ؟

فبين له جابر – رضي الله عنه – التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة وأنها خاصة بالكفار، ولا يدخل فيها عصاة المؤمنين، واستدل على هذا التفسير بالسياق، لكون الآية في سياق الحديث فيها عن الكفار وما أعده الله لهم من العذاب يوم القيامة.

وقد روي نحوًا من هذا الأثر المروي عن جابر – رضي الله عنه –، عن ابن عباس – رضي الله عنهما –؛ وقد أجاب – رضوان الله عليه – بمثل ما أجاب به جابر، فأرشد السائل إلى استعمال السياق لفهم الآية الكريمة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، باب صفة النار وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف خمسة أنفس يدخلون النار من هذه الأمة جـ ١٦/ صـ ٥٢٦، ٥٢٧، برقم (٧٤٨٣) ،صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان جـ ١٠/ صـ ٤٥٠، برقم (٧٤٤٠).

فعن عكرمة: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس رحمه الله: أعمى البصر أعمى القلب، يزعم أن قوما يخرجون من النار، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ﴾ ؟ فقال ابن عباس: ويحك، أقرأ ما فوقها! هذه للكفّار"(١).

خامسًا: أقوال العلماء في بيان أهمية السياق وأثره في التفسير.

إن الناظر في كتب العلماء يجدها زاخرة بالعديد من الأقوال في أهمية السياق، ومن هذه الأقوال ما يلي:

١ – قال مسلم بن يسار : "إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"(٢).

٢ – وقال الإمام الشافعي : "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرِف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساع لسانها، وأنَّ فطْرته أنْ يخاطب بالشيء منه عامًّا، ظاهرًا، يراد به العام، الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخرِه. وعامًا ظاهرًا يراد به العام، ويدخلُه الخاص، فيستدلُّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه؛ وعامًا ظاهرًا، يراد به الخاص. وظاهرًا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكلُّ هذا موجود علْمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره"(٣).

٥ – وقال الإمام البغوي – رَحِمَهُ اللَّهُ – مبينًا جواز تأويل القرآن الكريم لأهل

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، جـ ١٠/ صـ ٢٩٤، برقم (١١٩٠٦) .
(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، صـ ٣٧٧.
(٣)ينظر: الرسالة للشافعي، صـ ٥٠ .

العلم، ولكن بشرط احتمال اللغة له، وموافقته للسياق، وعدم مخالفته الكتاب والسنة: "فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط – فقد رخص فيه لأهل العلم"(١).

٦ – وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام – رَحِمَهُ اللَّهُ –: "السياق مرشد إِلَى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقْرِير الواضحات وكل ذَلك بعرف الاستعمال فَكل صفة وقعت في سياق الْمدح كَانت مدحًا وكل صفة وقعت في سياق الذَّم كَانت ذما فَما كَانَ مدحا بِالْوضعِ فَوقع في سياق الذَّم صار ذما واستهزاء وكما بعرف الاستعمال مثَاله ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] أَي الذَّليل المهان لوقُوع ذَلك في سياق الذَّم"(٢).

٧ – وقال الإمام الزركشي: "دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾(٣) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"(٤).

وقال أيضًا: "واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن

(١)ينظر: معالم التنزيل للبغوي ج١ ص٤٦ .
(٢)ينظر: الإمام في بيان أدلة الأحكام لعز الدين بن عبد السلام، صـ ١٥٩، ١٦٠ .
(٣) سورة الدخان: الآية (٤٩) .
(٤)ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ ٢/ صـ ٢٠٠، ٢٠١.

يعتبر تفسيره وقسم لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق"[١].

وقال أيضًا: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح"[٢].

٨-قال الإمام الشاطبي: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره "[٣].

٩- وقال الإمام السيوطي أثناء بيانه للشروط الواجبة على المفسر: "وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات"[٤].

---

(١)ينظر: المرجع السابق بتصرف، جـ ٢/ صـ ١٧٢ .

(٢) ينظر :المرجع السابق، جـ ١/ صـ ٣١٧ .

(٣)ينظر :الموافقات للشاطبي، جـ ٤/ صـ ٢٦٦ .

(٤)ينظر :الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ ٤/ صـ ٢٢٧ .

١٠ – وقال الشيخ محمد رشيد رضا – مبينًا أن المرتبة العليا لفهم القرآن هي الفهم العام للسياق القرآني: "والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، ...، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا: إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"(١).

١١ – وقد جعل الدكتور محمد عبد الله دراز فهم السياق على رأس قائمة الشروط الواجب على المفسر الإلمام بها؛ حيث قال: "إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزءٍ جزءٍ منه – وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها – إلا بعد أن يُحكِم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة"(٢).

من خلال ما سبق من أقوال العلماء في السياق تبين أن:-

*أن من تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج.

(١)ينظر : تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، جـ ١/ صـ ٢٠ .

(٢)ينظر :النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد بن عبد الله دراز، صـ ١٩٢.

* أما تفسير القرآن بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين"

*وأن الاحتمال اللغوي وحده ليس كفيلا بالإصابة، وإنما لابد من اقترانه بدلالة السياق حتى يتعين المراد من هذه الاحتمالات اللغوية .

* مراعاة مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام هذه أسباب تؤدي إلى الخطأ في التفسير.

* أن السياق هو الذي ينشئ الدلالة وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية .

* "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

المبحث الأول: حروف الجر في العربية

ويشتمل علي عدة مطالب:

*** الأول: تعريف الحرف لغة واصطلاحًا، وأهميته في الكلام .**

*** الثاني: أنواع الحروف والتعريف بحروف الجر وعددها وعملها.**

*** الثالث : معاني حروف الجر.**

المطلب الأول: تعريف الحرف في اللغة:

قال ابن منظور: الحرف: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما[1] .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفًا، يقال: يقرأ هذا الحَرف في حرف ابن مسعود أي في قراءته، والتحريف في القرآن: تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهودُ تغير معاني التوراةِ بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾[2].[3]

أما الفيروز آبادي فقال: «الحَرف من كل شيء طرفه، وشفيره وحده،

---

(١) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، (٩/ ٤١) .

(٢) سورة النساء الآية (٤٦) .

(٣) ينظر: العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال عدد الأجزاء: ٨، باب حفر (١/ ٢١٣) .

ومن الجَبل أعلاه المُحدد، وواحد حروف التهجي، وعنْد النُّحاة: ما جاء لمعنى ليس باسمٍ ولا فعل، وما سواه من الحُدود فاسد».[١]

* فكلمة الحرف تدل على معنى في غيرها، أو معنى غير مستقل بالفهم مثل: (في) ويتحدد معنى الحرف من خلال اقترانه بالكلمات داخل الجملة[٢].

وقد أطلق علماء اللغة عليه عدة أمور من موارد اللغة، فقالوا: حروف المعاني، حروف المباني، والحروف الشمسية، والحروف القمرية وحروف الزيادة وغيرها[٣].

تعريف الحرف اصطلاحًا:

قال سيبويه : «الحرف: ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل».[٤]

وعرف أبو القاسم الزجاجي الحرف بأنه: « ما دل على معنى في غيره».[٥]

---

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٢/ ٣٦٦) .

(٢) ينظر: الدليل إلى قواعد اللغة العربية لحسن محمد نور الدين، ط، ١دار العموم العربية بيروت (٣٢) .

(٣) ينظر: المعجم الميسر في قواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، لمحمد أمين ضناوي ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م .

(٤) ينظر: الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠ هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م (١/ ١٢)

(٥) ينظر: الإيضاح في علل النحو المؤلف: أبو القاسم الزَّجَّاجي (المتوفى: ٣٣٧ هـ) المحقق: الدكتور مازن المبارك الناشر: دار النفائس – بيروت الطبعة: الخامسة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م. صـ (٥٤) .

وقال ابن بابشاذ عن تعريف الحرف إنه: «ما أبان عن معنى في غيره، ولم يكن أحد جزأي الجملة، خلافا للاسم والفعل»[١]، وهذا التعريف للحرف أقرب ما يكون لتعريف سيبويه.

وذكر ابن يعيش في شرح المفصل نقلًا عن الزمخشري: «الحرف ما دل على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفكَّ من اسم أو فعل يصحبه».[٢]

ويتبين من خلال تعريف الحرف أنه جاء لربط الكلام وتقويته وأن معناه لا يتحدد إلا بارتباطه بغيره في السياق .

أهمية الحروف في الكلام:

* أولًا: ذكر ابن منظور أهمية الحرف في الكلام فقال: «والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما»[٣]، ويتضح من كلامه أن الحرف يعطي للكلام قوة وتماسكًا وترابطًا، ولا يتحقق ذلك إلا بارتباط الحروف بغيرها من الأفعال كحروف الجر وغيرها من حروف العطف .

---

(١) ينظر: شرح المقدمة المحسبة المؤلف: طاهر بن أحمد بن بابشاذ (المتوفى: ٤٦٩ هـ) المحقق: خالد عبد الكريم الناشر: المطبعة العصرية – الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٧٧ م (١/ ١٢٥) .

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش بن على بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣ هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م عدد الأجزاء: ٦ (٤/ ٤٤٧) .

(٣) ينظر: لسان العرب (٩/ ٤١) .

* ثانيًا :يتضح من خلال تعريف الحرف في اللغة أنه يرجع إلى ثلاثة معان جوهرية هي:

حد الشيء، وتقديره، والعدول عنه ومن المعنى الأول: حد السيف أي: طرفه الحاد، ومن الثاني: المحراف وهو حديدة تقدّر بها الجراحات عند العلاج، ومن الثالث: الانحراف والتحريف وفي كل هذه المعاني ندرك معنى القوة كما ندرك أن تسميه النوع الثالث من الكلام بالحرف يشير إلى أنه يُشرب الكلام معنى القوه ويكسبه البيان.

* ثالثًا: أنها جاءت للاختصار حيث ينوب حرف الجر وغيره عن الكلمة أو الجملة التي يؤدي معناها ومن هنا كان حذفه أو استبداله بغيره ليس داخلًا في باب القياس كما أشار إلى ذلك ابن جني في الخصائص حيث قال[1]: «ومن قوته أنه يدخل في الكلام لضرب من الإيجاز فإنك إذا قلت: «ما قام زيد» فقد أغنت «ما» عن «أنفي" وهي جملة من فعل وفاعل ولو قلت «يا» أغنت عن كلمة «أنادي» و«إلا» عن «أستثني» وإذا قلت: قام زيد وعمرو، فقد نابت الواو عن «أعطف»، وإذا قلت: ليس زيد بقائم، فقد نابت الباء عن «حقًّا» و«البتة»، و«غير ذي شك». وإذا قلت: «فبما نقضهم ميثاقهم» فكأنك قلت: فبنقضهم ميثاقهم فعلنا كذا حقًّا أو يقينًا. وإذا قلت: أمسكت بالحبل، فقد نابت الباء عن قولك : أمسكته مباشرًا له وملاصقة يدي له . وإذا قلت: أكلت من الطعام، فقد نابت «من» عن البعض، أي: أكلت بعض الطعام، فإذا كانت هذه الحروف نوائب عما هو أكثر منها من الجمل

(١) ينظر: الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢ هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: الرابعة (٢/ ٢٧٦) .

وغيرها لم يجز من بعد ذا أن تتخرق عليها فتنهكها وتجحف بها»[١].

* رابعًا: ومن أهمية الحروف: أن لها دلالات كثيرة ومتباينة، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: الدلالة المشتركة: وهي ربط الأفعال بما بعدها، كحروف الجر والمراد بالأفعال ما يتعلق به الجار والمجرور، وهي إما فعل أو ما كان بمعنى الفعل لفظًا أو تقديرًا.

الثاني: الدلالة الخاصة بكل حرف، حيث يختص كل حرف من حروف الجر بدلالات خاصة.[٢] يحددها السياق الذي يقع فيه حرف الجر ويختلف باختلاف الفعل المتعدي به.

* خامسًا: ومن أهميتها أن (مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبني أكثرها على معاني الحروف)[٣] فغيرها يحتاج إليها بأنها بمثابه الآلة والوسيلة للوصول إلى الهدف من الكلام وهي أكثر من الأسماء والأفعال في الاستعمال[٤]، وهي مفاتيح البيان في اللغة.[٥]

---

(١) ينظر: الخصائص لابن جني (٢/ ٢٧٣) ، وشرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٧) .

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادي المصري المالكي ، تح: د فخر الدين قباوة، الأستاذ/ محمد نديم فاضل دار الكتب العلمية، بيروت من صـ ٣٦: ٤٥ بتصرف.

(٣) ينظر: الجني الداني للمرادي ص (٥) .

(٤) ينظر: المخصص لأبي الحسن على بن إسماعيل بن سيده (١٤/ ٥٤، ٥٥) .

(٥) ينظر: المدارس النحوية د/ أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ط دار المعارف عدد الأجزاء: ١ صـ (٣٤٧) .

المطلب الثاني: أنواع الحروف والتعريف بحروف الجر وعددها وعملها

أنواع الحروف :تنقسم إلى قسمين:

أ – حروف المباني: أو ما يعرف بحروف الهجاء، هو ما كان من بنية الكلمة من حروف مثال: كل الحروف الألف بائية (أ، ب ، ت...) وعددها تسعة وعشرون حرفًا.

ب – حروف المعاني: وهو ما كان له معنى لا يظهر إلا إذا انتظم في الجمل كحروف الجر وحروف العطف وغيرها(١).

تعريف حروف الجر وسبب تسميتها:

هي حروف تختص بجر الأسماء التي تدخل عليها وتسميتها «بحروف الجر» تسمية بصرية والكوفيون «حروف الإضافة» أحيانًا، لأنها تربط بين الاسم والفعل، أو تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء أي: توصلها إليها، ويسمونها «حروف الصفات» أحيانًا أخرى لأنها تُحدث في الاسم صفة من ظرفية أو غيرها، كما أشار إلى ذلك عبد القادر الجرجاني بقوله: «هي التي تجر معاني الأفعال إلى الأسماء لأنك إذا قمت: «مررت بزيد» فاتصل معنى المرور بزيد أو باعتبار عملها فيكون من قبيل تسمية المآثر بالاسم الأثر، كما سميت حروف الجر لأن عملها الجر»(٢).

---

(١) ينظر: قواعد اللغة العربية، النحو التطبيقي من القرآن والسنة، عماد على جمعة، طبعة ٣ دار الضياء للنشر القاهرة، ٢٠٠٣ م، صـ (٦٣)

(٢) ينظر: العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية لعبد القادر الجرجاني ، شرح خالد الأزهري الجرجاوي ت (٩٠٥ هـ) تح البدراوي الزهران أستاذ اللغات بجامعة ==

* والأظهر أنها سميت «حروف الجر» لأن الأسماء تأتي بعدها مجرورة، كما سميت حروف النصب والجزم لأن الأفعال تأتي بعدها مجزومة أو منصوبة، ومعنى الجر: هو جر الفك الأسفل إلى الأسفل إذ من المعلوم أن تسمية الحركات الضمة، الفتحة والكسرة وتسمية حالتها الإعرابية من رفعٍ ونصبٍ وجرٍ إنما هو قائم على أوصاف حركة الفم مثل: الجر فهو جر الفك الأسفل وتسمى الحركة كسرة(١).

عدد حروف الجر:

حروف الجر التي وقع فيها الخلاف بين البصريين والكوفيين في موضوع الإنابة وتعدد المعاني ثمانية أحرف وذلك لأن حروف الجر محصورة عند النحاة بواحد وعشرين حرفاً ثلاثةٌ منها لا تفيد سوي الاستثناء مالم تتصل بهن "ما" وهي: "خلا، وعدا وحاشا" وواحدُ يفيد امتناع الجواب لوجود الشرط على المشهور وهو" لولا" إذا اتصل به ضمير وحرف يفيد التعليل وبيان السبب وهو "كي" وحرف يفيد الترجي في لغة عقيل وهو "لعلَّ" وحرف يفيد معني الابتداء الذي تفيده "من "وهو "متي" عند هذيل وحرفان

==

أسيوط، رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بسوهاج ط مزيدة ومنقحة) ، صـ ٨٩، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٤٥٤: ٥١٣) .

(١) ينظر: معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي، ط ٢ ، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، صـ (٣/ ٥) . شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب النحوي تحقيق وتعليق: أ. د/ يوسف حسن عمر، م الناشر: جامعة قار يونس – ليبيا (٢/ ٢٥٤) ، وحاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك : لأبي العرفان محمد بن على الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٣ (٢/ ٢٠٣) .

للزمان الماضي وهما" مذ ومنذ" وحرف يفيد التكثير كثيرًا والتقليل قليلاً وهو "رُبَّ" وحرف يفيد ما تفيده "إلى" وهو "حتي" وحرفان للقسم وهما (الواو والتاء)فهذه ثلاثة عشر حرفاً لها معانٍ محدده لا ينوب شيء منها على الآخر.

أما الباقي فهو ثمانية أحرف التي وقع فيها التناوب وتعدد المعاني وهي "من، إلى، عن، على، في، اللام، الكاف، الباء" وهي كما يلي:

المطلب الثالث: معاني حروف الجر

* قبل الحديث عن ذكر معاني حروف الجر لابد أن نطرح هنا سؤالاً مفاده؟

هل لكل حرف جر معني أصلي واحد أم أن له أكثر من معني ؟؟

اختلف العلماء في هذا على قولين:

* الرأي الأول : يقولون أن لكل حرف معني أصلي لا يتعداه إلى غيره ف "علي" للاستعلاء و "في" للظرفية و "من" للابتداء إلى غير ذلك وهذا رأي سيبويه وجمهور البصريين.

الرأي الثاني:- يقول بوقوع التناوب[1]. بين حروف الجر وأن لكل حرف أكثر من معني وهذا رأي الكوفيون"[2].

وقد وردت في كتب اللغة والتفسير معاني متعددة لحروف الجر وقع التناوب

---

(١) التناوب هو استعمال الأداة في موضع ليس من مواضعها المطردة ,وذلك طمعًا في التلوين في التعبير أو لتحقيق داع من دواعي البلاغة والتأثير .

(٢) ينظر: المسائل النحوية في كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح لداود بن سليمان الهويمل ص: ١٥٧ .

بينها وهي ثمانية حروف وهي كما يلي:

معاني حروف الجر:

١- **معاني حرف الجر «في» ومعناها الأصلي (الظرفية)** : ذكر علماء اللغة أن لحرف الجر" في" عدة معان"[١] وهي :

أحدها: الظرفية وهو معناها (الأصلي) وهي: إما مكانية أو زمانية، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾[٢][٣].

والظرفية هي الأصل في حرف الجر «في»، ولا يثبت البصريون غيره، وتكون للظرفية حقيقة، نحو: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾[٤] ومجازًا، نحو ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ .[٥]

الثاني: المصاحبة: نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾[٦] أي:

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١ هـ) المحقق: د.مازن المبارك دار الفكر – دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ (١/ ٢٢٣) , الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد النحوي الهروي ص (٢٦٧: ٢٧١) ..

(٢) سورة الروم الآيات (١: ٤) .

(٣) ينظر: مغني اللبيب (١/ ٢٢٣) .

(٤) سورة البقرة جزء من الآية (٢٠٣) .

(٥) ينظر: الجنى الداني للمرادي ص (٢٥٠) .

(٦) سورة الأعراف جزء من الآية (٣٨) .

معهم .[١].

والثالث: التعليل نحو قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنّ الَّذِى لمُتُننِى فِيهِ﴾[٢].

الرابع: الاستعلاء نحو قوله تعالى: ﴿ولأُصَلّبنكُم فى جذُوعِ النَّخلِ﴾[٣] أي على جذوع النخل[٤].

الخامس: بمعنى الباء: فتكون كالمرادفة لها في معنى الإلصاق، كقولهم: من لم يكن بصيرًا في ضرب المقاتل لم يكن آمنًا على حياته أي: بضرب المقاتل[٥].

السادس: بمعنى إلى: كقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفوَاهِهِمْ﴾[٦] أي: إلى أفواههم.[٧]

السابع: بمعنى (من) ومنه قوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾[٨] أي: ارزقوا السفهاء من أموالهم.

الثامن: المقايسة: وهي الواقعة بين مفضول سابق ومفضول لاحق، مثل

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٢٣) .

(٢) أي: بسبب ذلك كان منكن لوم، قاله الخطيب في حاشيته على المغني ٢/ ٥١٤، والآية من سورة يوسف رقم (٣٢) .

(٣) سورة طه الآية (٧١) .

(٤) ينظر: مغني اللبيب (١/ ٢٢٤ (الجنى الداني، صـ (٢٥١) .

(٥) ينظر: النحو الوافي عباس حسن (٢/ ٥٠٧، ٥٠٨) .

(٦) سورة إبراهيم الآية (٩) .

(٧) ينظر: مغنى اللبيب (١/ ٢٢٥) .

(٨) سورة النساء الآية (٥) .

قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إلاّ قَلِيلٌ﴾[1] أي أن متاع الحياة الدنيا بالنسبة للآخر قليل وتعرف باسم المقابلة شيء بشيء أو سابق بلاحق.

التاسع: التعويض: وهي الزائدة عوضًا عن أخرى محذوفة كقولك: ضربت فيمن رغبت فيه، وأصله، ضربت من رغبت فيه.

العاشر: التوكيد وهي الزائدة لغير التعويض كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾.[2]

٢ – معاني حرف الجر (من) ومعناها الحقيقي (الابتداء).

(من) حرف جر للظاهر والمضمر ويقع أصليًا وزائدًا وله عدة معان وهي[3]:

الأول: ابتداء الغاية وهي نوعان الغاية المكانية والزمنية .

المكانية: ومثالها، قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا﴾[4] أي: ابتداء مكان الإسراء هو المسجد الحرام .

الزمنية: ومثالها، قوله تعالى: ﴿لَمَسجِدٌ أُسِسَ عَلَى التَّقوَى مِن أَوَّلِ

(١) سورة التوبة الآية (٣٨) .

(٢) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٢٦) ، والآية رقم (٤١) من سورة هود.

(٣) ينظر: مغني اللبيب (١/ ٤١٩: ٤٢٥) .

(٤) سورة الإسراء جزء من الآية (١) .

يومٍ﴾[١].

الثاني: التبعيض: ومنه قوله تعالى: ﴿**لَن تَنالُوا البِّر حَتّى تُنفِقُوا مّما تحّبون﴾**[٢] وعلامة (من) هنا أن يصح حذفها واستعمال بعض مكانها [٣].

الثالث: بيان الجنس: وكثيرًا ما تقع بعد "ما ومهما" وهما بها أولى لإفراط إبهامهما نحو ﴿**مَا يَفتحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحمةٍ فَلَا مُمسِكَ لهَا﴾**[٤] ﴿**مَهمَا تَأتِنا بهِ مِن آيةٍ﴾**[٥] وهي ومخفوضها في ذلك في موضع نصب على الحال ومن وقوعها بعد غيرهما قوله تعالى: ﴿**يُحلّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ﴾**[٦] وعلامة (من) هنا أن يصح الإخبار بما بعدها عّما قبلها[٧].

الرابع: التعليل: تعمل "من" عمل لام التعليل نحو قوله تعالى: ﴿**مِمّا خَطِيئَاتهِم أُغرِقُوا﴾**[٨] وقوله تعالى: ﴿**يَجعلُونَ أَصَابِعَهم فِي آذَانِهم مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾**[٩] أي سبب الصواعق.

---

(١) سورة التوبة جزء من الآية (١٠٨) .

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية (٩٢) .

(٣) ينظر: معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي (٣/ ٦٥) .

(٤) سورة فاطر جزء من الآية (٢) .

(٥) سورة الأعراف الآية (١٣٢) .

(٦) سورة فاطر الآية (٣٣) .

(٧) ينظر: نحو اللغة العربية في قواعد النحو والصرف، أسعد النادري، صـ ٧٥٦.

(٨) سورة نوح ، جزء من الآية (٢٥) .

(٩) سورة البقرة جزء من الآية (١٩) .

الخامس: البدل: كقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بالحَياةِ الّدنيَا مِنَ الآخِرةِ﴾[١] وقوله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[٢] لأن الملائكة لا تكون من الإنس.

السادس: الظرفية: بمعنى "في" مثل: ماذا يوجعك من جسمك، أي : فيه.

السابع: الاستعلاء: أي تكون بمعنى (على) نحو قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَومِ الَّذِينَ كَذّبُوا بِآيَتِنَا﴾[٣] أي: على القوم وقيل: على التضمين أي منعناه منهم بالنصر .[٤]

الثامن: الفصل وهي الداخلة على ثاني المتضادين نحو: ﴿واللهُ يعلمُ المفسدَ مِنَ المُصلح﴾[٥] وقوله: ﴿حتى يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطّيبِ﴾[٦].[٧]

التاسع: المجاوزة: تدخل على الاسم للدلالة على البعد الحسي أو المعنوي بينه وبين ما قبله نحو قوله تعالى: ﴿قَد كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾[٨]

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٨) .
(٢) سورة الزخرف جزء من الآية (٦٠) .
(٣) سورة الأنبياء الآية (٧٧) .
(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٤٢٤) .
(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٠.
(٦) سورة آل عمران الآية ١٧٩.
(٧) ينظر: مغنى اللبيب (١/ ٤٢٤) .
(٨) سورة الأنبياء الآية ٩٧ .

أي: عن هذا بمعنى بعيدين عنه.[١]

العاشر: مرادفة الباء: نحو: قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍ﴾[٢] أي: بطرف خفي والظاهر أنها للابتداء.[٣]

الحادي عشر: الغاية قال سيبويه وتقول: رأيته من ذلك الموضع فجعلته غاية لرؤيتك أي: محلًا للابتداء والانتهاء قال: وكذا أخذته من زيد قال ابن هشام :والظاهر أنها للابتداء لأن الأخذ ابتدأ من عنده وانتهى إليك.

الثاني عشر : موافقة عند نحو ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ قاله أبو عبيدة.[٤]

الثالث عشر: التنصيص على العموم وهي الزائدة في نحو: ما جاءني من رجل فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس، ونفي الوحدة، ولهذا يصح أن يقال «بل رجلان» ويمتنع ذلك بعد دخول «من».[٥]

الرابع عشر: توكيد العموم وهي الزائدة كما في قوله تعالي ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ .[٦]

---

(١) ينظر: النحو الوافي عباس حسن ج ٢/ ٤٦٤ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١: ٤٢٣) .

(٢) سورة الشوري الآية ٤٥.

(٣) ينظر: مغنى اللبيب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١: ٤٢٣) .

(٤) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩ هـ) (١/ ٨٧) مغني اللبيب (ص: ٤٢٤) .

(٥) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٤٢٥) .

(٦) سورة الأنعام الآية ٥٩.

وقوله تعالي ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[١] .[٢]

٣- معاني ودلالة حرف الجر (إلى) ومعناه الحقيقي انتهاء الغاية:

إلى: حرف جر مبني على السكون يجر الظاهر والمضمر، يرد لعده معان هي:

الأول: انتهاء الغاية: الزمنية: وهو أصل معانيها أكثر المعاني استعمالًا وشيوعًا، مثل: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.[٣][٤]

* انتهاء الغاية المكانية: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥].

" **الثاني:** المعية والمصاحبة: والمصاحبة هي: انضمام شيء لآخر ووضح الفراء هذا المعنى مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[٦] وقال معلقًا على هذه الآية: "قيل: "من أنصاري مع الله، وإنما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن

(١) سورة المؤمنون الآية٩١ .

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٤٢٥: ٤٢٦) .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٧.

(٤) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٠٤) الجنى الداني للمرادي ص ٣٨٥.

(٥) سورة الإسراء الآية ١.

(٦) سورة آل عمران جزء من الآية ٥٢.

معه ، ومنه قوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ﴾[١] معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم».[٢]

الثالث: التبيين: فهي تبين أن الاسم المجرور بها فاعل في المعنى لا في الإعراب، وما قبلها مفعول به في المعنى لا في الإعراب بشرط أن تقع بعد اسم التفضيل، أو فعل التعجب، بلفظ يدل على حب أو بغض "[٣] ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلى مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[٤].

الرابع: مرادفة اللام: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[٥] وتقدير الكلام: حّبب لكم، وكّره لكم، وتقع اللام مرادفة لإلى، نحو: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[٦]، أي إلى الله[٧]

السادس: مرادفة "في" ومنه قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٨] .[٩] أي :في يوم القيامة.

---

(١) سورة النساء الآية٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (المتوفى: ٢٠٧ هـ) (١/ ٢١٨) مغنى اللبيب (١/ ١٠٤) .

(٣) ينظر: النحو الوافي عباس حسن (٢/ ٤٦٩) .

(٤) سورة يوسف الآية ٣٣.

(٥) سورة الحجرات الآية ٧.

(٦) سورة الانفطار الآية ١٩.

(٧) ينظر: النحو الوافي عباس حسن، ج ٢ص. ٤٧٠ و مغني اللبيب (١/ ١٠٥) .

(٨) سورة النساء الآية ٨٥.

(٩) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٠٥) .

السابع: بمعنى "من": مثل "طالب العلم لم يرنو إلى الكتب" أي :من الكتب.[١]

الثامن: التوكيد وهي: الزائدة: أثبت ذلك الفراء، مستدلًا بقراءة بعضهم ﴿**أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهوِى إِلَيهِم**﴾[٢] بفتح الواو، وخرجت على تضمين تهوى معنى: تميل.[٣]

وفي اللمع للشيرازي أن "إلى" لا تخرج عن المعاني التي ذكرها فقال: وإلى تدخل لانتهاء الغاية كقولك ركبت إلى زيد وقد تستعمل بمعنى "مع" إلا أنه لا يحمل على ذلك إلا بدليل كقوله تعالى: ﴿**وَأَيدِيَكُم إِلى المَرافِقِ**﴾[٤] والمراد به مع المرافق.[٥]

٤ – حرف الجر (عن) معناه ومعناه الحقيقي(المجاوزة):

ذكر علماء اللغة أن لها عده معان منها:-

الأول: المجاوزة[٦] ولم يذكر البصر يون سواه، نحو: سافرت عن البلد

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٠٥) .

(٢) سورة إبراهيم جزء من الآية (٣٧) .

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٠٥) معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٨).

(٤) سورة المائدة جزء من الآية ٦.

(٥) ينظر: اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ) ، (١/ ١٩٠) .

(٦) المجاوزة: هي ابتعاد شيء مذكور أو غير مذكور عما بعد حرف الجر بسبب شيء قبله؛ فالأول؛ نحو: رميت السهم عن القوس، والثاني: نحو رضي الله عنك، أي جاوزتك المؤاخذة بسبب الرضا والمجاوزة أظهر معاني «عن» وأكثرها استعمالًا. ولم ==

ورغبت عن كذا ، وقيل تستعمل «عن» للمجاوزة كثيرًا، نحو: رميت السهم عن القوس».[١]

الثاني: البدل نحو قوله تعالى: ﴿**وَاتّقوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾[٢] وفي الحديث "[٣] أي: بدلها كما ذكره ابن مالك.[٤]

الثالث: الاستعلاء نحو قوله: ﴿**فَإِنمَّا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ**﴾[٥] ومنه قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى**﴾[٦] أي قدمته عليه .[٧]

الرابع: التعليل: نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**﴾[٨] ونحو: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ**﴾[٩] [١٠]

==

يذكر البصريون سواه. ينظر: أوضح المسالك (٣/ ٤٠) ومغني اللبيب (١/ ١٩٦) .

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ٢٣)

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ٤٨

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس ينظر: صحيح مسلم (٢/ ٢٤) باب الصوم

(٤) ينظر: مغني اللبيب (١/ ١٩٦) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٤٢)

(٥) سورة محمد جزء من الآية ٣٨

(٦) سورة ص جزء من الآية ٣٢

(٧) ينظر: مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٩٦) ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٤٠)

(٨) سورة التوبة جزء من الآية ١١٤.

(٩) سورة هود عليه السلام، جزء من الآية ٥٣.

(١٠) ينظر: مغني اللبيب (١/ ١٩٧) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٤٢)

الخامس: مرادفة "بعد" نحو ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[١] أي بعد قليل وقوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[٢] أي بعد طبق أي حالة بعد حالة.[٣]

قال ابن هشام :" أن من معاني (عن) أن تأتي مرادفة ل «بعد» فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[٤] بدليل أن في مكان آخر ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[٥] .[٦]

السادس: مرادفة (من) نحو ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[٧] وقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾[٨] قال الزمخشري: يقال: قبلت منه الشيء، وقبلته عنه. فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه، ومعنى: قبلته عنه: عزلته وأبنته عنه[٩].

---

(١) سورة المؤمنون جزء من الآية ٤٠.

(٢) سورة الانشقاق: الآية ١٩

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) (١٨/ ٥٨) .

(٤) سورة النساء الآية ٤٦.

(٥) سورة المائدة لآية ٤١.

(٦) ينظر: مغني اللبيب (١/ ١٩٧) .

(٧) سورة الشوري جزء من الآية ٢٥

(٨) سورة الأحقاف جزء من الآية ١٦

(٩) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٢٢٧) ، ومغني اللبيب (١/ ١٩٨) أوضح المسالك (٣/ ٤٢)

السابع: مرادفة الباء نحو ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[١] والظاهر أنها على حقيقتها، وأن المعنى: وما يصدر قوله عن هوى[٢] و نحو: قمت عن أصحابي، أي: بأصحابي[٣].

الثامن: الاستعانة قاله ابن مالك، ومثله بـ "رميت عن القوس"، لأنهم يقولون أيضًا: رميت بالقوس حكاهما الفراء "[٤].

٥ – معاني حرف الجر (على) ومعناها الحقيقي (الاستعلاء):

* حرف الجر "على" له عدة معاني منها :

أحدها: الاستعلاء[٥] وهو إما على المجرور وهو الغالب نحو ﴿**وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**﴾[٦] أو على ما يقرب منه نحو ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ**

---

(١) سورة النجم الآية ٣

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٤٢) مغني اللبيب (١/ ١٩٨)

(٣) ينظر: رصف المباني ص٤٠٣

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٤٣(حاشية الخطيب على المغني (٢/ ٤٠٤).

(٥) الاستعلاء أي: العلو؛ وهو أكثر معانيها استعمالًا، و قد يكون حقيقة إن كان على نفس المجرور وهو الغالب؛ حسًا "وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلك" ، أو معنى؛ نحو: ﴿**فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ ، ومجازًا؛ إن كان العلو على ما يقرب من المجرور. نحو: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدىً**﴾﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٧) مغني اللبيب ١/ ١٩٠ , الأزهية للهروي، صـ ٢٧٥: ٢٧٧، والنحو الوافي (٢/ ٥٠٩) .

(٦) سورة المؤمنون الآية ٢٢.

هُدًى﴾[1] وقد يكون الاستعلاء معنويًا نحو ﴿وَلَهُمْ على ذَنْبٌ﴾ .[2]

الثاني: المصاحبة أي: بمعنى "مع" نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[3] أي: مع ظلمهم.

الثالث: المجاوزة أي: بمعني(عن) مثل :رضي عليه بمعني :رضي عنه.

الرابع: التعليل أي بمعنى (اللام) نحو ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾[4] أي: لهدايته إياكم.[5]

الخامس: الظرفية أي: بمعنى (في) نحو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ .[6]

السادس: موافقة (من) نحو قوله تعالي: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[7]

قال الفراء: "من" و "على" يعتقبان هنا، اكتلت على الناس، واكتلت من الناس. فإذا قال: اكتلت منك، فكأنه قال: استوفيت منك; وإذا قال: اكتلت

---

(١) سورة طه جزء من الآية ١٠.

(٢) سورة الشعراء جزء من الآية ١٤.

(٣) سورة الرعد جزء من الآية ٦.

(٤) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٩) .

(٦) ينظر: أوضح المسالك (٣/ ٣٩) ، ومغني اللبيب ١/ ١٩١والآية من سورة القصص رقم ١٥.

(٧) سورة المطففين من الآية ٢.

عليك فكأنه قال: أخذت ما عليك.[١]

السابع: موافقة الباء نحو ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٢] وقد قرأ أُبي[٣] بالباء، وقالوا: اركب على اسم الله.[٤]

الثامن: أن تكون للاستدراك والإضراب كقولك: فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه على أنه لا ييأس من رحمة الله تعالى.[٥]

٦ – معاني حرف الجر الباء ومعناه الأصلي (الإلصاق):

الباء من حروف الجر الأحادية فهي حرف مختص بالاسم، ملازم لعمل الجر وهي ضربان زائدة، وغير زائدة وقد ذكر علماء النحو واللغة لها عده معاني [٦] .

الأول: الإلصاق و هو معنى لا يفارقها مثل:" مررت بزيد" أي ألصقت مروري به [٧].

الثاني: التعدية وباء التعدية هي القائمة مقام الهمزة، في إيصال معنى

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤٦) ، ومغني اللبيب ١/ ٩١ ١.

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٩) ، والآية رقم (١٠٥) من سورة الأعراف .

(٣) هذه القراءة فهي شاذة لمخالفتها أحد شروط التواتر وهو موافقة الرسم العثماني.

(٤) ينظر: مغني اللبيب لابن هشام ١/ ١٩٢ .

(٥) ينظر: المرجع السابق ١/ ١٩٢

(٦) ينظر: الجنى الداني ص ٣٦ وما بعدها , المغني اللبيب (١/ ١٣٧), الكتاب لسيبويه (١/ ٥٨)

(٧) ينظر: الجنى الداني ٣٧، وأوضح المسالك (٣/ ٣٢) مغني اللبيب (١/ ١٣٧) .

اللازم إلى المفعول به. نحو: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[٢] والأصل: دفع بعض الناس بعضًا .[٣]

الثالث: الاستعانة وهي الداخلة على آلة الفعل نحو: كتبت بالقلم، وضربت بالسيف وذكر الزمخشري قولين في باء البسملة؛ أحدهما: أن الباء فيها للآلة مجازًا؛ لأن الفعل لا يتأتى على أتم وجه وأكمله إلا بالاستعانة بالله. والثاني: أن الباء فيها للمصاحبة، وذلك تحاشيًا من سوء الأدب مع الله –عز وجل– أن يُجعل آلة ولو مجازًا.[٤]

الرابع: التعليل قال ابن مالك: هي التي تصلح غالبًا في موضعها اللام، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾[٥] وقوله ﴿فكلًا أخذنا بذنبه﴾ .[٦]

الخامس: المصاحبة ولها علامتان: **إحداهما** :أن يحسن في موضعها (مع). **والأخرى:** أن يغني عنها وعن مصحوبها الحال، كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٧] أي: مع الحق، أو محقًا . ولصلاحية وقوع الحال موقعها، وسمَّاها كثير من النحويين باء الحال[٨] وذكر ابن مالك نحو:

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥١.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٣٨، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣١) .

(٤) ينظر: الجنى الداني ٣٨، ومغني اللبيب ١/ ١٣٨، وأوضح المسالك (٣/ ٣١) .

(٥) سورة البقرة جزء من الآية ٥٤.

(٦) سورة العنكبوت جزء من الآية ٤٠.

(٧) سورة النساء جزء من الآية ١٧٠.

(٨) ينظر: الجنى الداني، صـ ٤٠.

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾[1] أي: معه.

السادس: الظرفية وعلامتها أن يحسن في موضعها « في». نحو ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]

السابع: البدل وعلامتها أن يحسن في موضعها «بدل» ومنه في الحديث: (ما يسرُّني بها حُمرَ النَّعَمِ)[4] أي: بدلها.

الثامن: المقابلة و هي الباء الداخلة على الأثمان والأعواض. نحو: اشتريت الفرس بألف، وكافأت الإحسان بضعف، وقد تسمى باء العوض.

التاسع: المجاوزة أو موافقة (عن) وتقع كثيراً بعد السؤال. نحو قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[5] وقوله ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[6] وقليل بعد غيره، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾[7]: أي «عن» في كل

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٢) الآية رقم (٦١) من سورة المائدة.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٣.

(٣) سورة الصافات الآية (١٣٧– ١٣٨) .

(٤) ينظر: الجنى الداني ص٤٠ والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٠٤) من حديث على في وفاة أبيه .

(٥) سورة الفرقان الآية ٥٩.

(٦) سورة المعارج الآية ١.

(٧) سورة الفرقان الآية ٢٥ .

ما سبق.[١]

العاشر: الاستعلاء أي بمعنى: (علي) نحو قوله تعالى: ﴿**مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾[٢] أي: على قنطار .[٣]

الحادي عشر: التبعيض أو موافقة (من) قال المرادي: يعني التبعيضية، وفي هذا المعنى خلاف، ونقل عن الكوفيين، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**﴾[٤] أي: منها.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلا، وبحرف الإلصاق آخرًا؟ قلت: لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل.[٥]

الثاني عشر: القسم: نحو: بالله لأفعلن. وهي أصل حروف القسم .[٦]

الثالث عشر: أن تكون بمعنى (إلي) نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي**﴾[٧] أي: "إلى". وأُول على تضمين أحسن معنى: لطف[٨].

٧- معاني حرف الجر (اللام) ومعناها الحقيقي (الاختصاص):

---

(١) ينظر: الجنى الداني ص ٤١ مغني اللبيب (١/ ١٤١) أوضح المسالك (٣/ ٣٢)

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٥.

(٣) ينظر: الجني الداني صـ ٤٢ ومغني اللبيب (١/ ١٤٢)، وأوضح المسالك (٣٢/٣).

(٤) سورة الإنسان الآية ٦.

(٥) ينظر: الجنى الداني، صـ ٤٥، تفسير الزمخشري (٤/ ٦٦٨)

(٦) ينظر: الجنى الداني ص٤٥

(٧) سورة يوسف عليه السلام الآية ١٠٠

(٨) ينظر: الجنى الداني ص ٤٥

* ذكر علماء اللغة والنحو أن اللام الجارة لها عدة معاني:

أحدهما: الاستحقاق وهي الواقعة بين معنى وذات: نحو ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(١) و﴿**الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾(٢) ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾(٣) والملك لله، والأمر لله، وأنه معناها العام، لأنه لا يفارقها.(٤)

الثاني: الاختصاص نحو: الجنة للمؤمنين، وهذا الحصير للمسجد، والمنبر للخطيب، والسرج للدابة والقميص للعبد ونحو ﴿**إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا**﴾(٥) ونحو ﴿**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾(٦) .(٧)

الثالث: (الملك) أنها هي التي تقع بين ذاتين، الثانية منهما هي التي تملك حقيقة، وهذا المعنى أكثر استعمالاتها؛ نحو ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾(٨) لأن ما في السموات وما في الأرض ملك لله تعالى " .(٩)

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٢

(٢) سورة يونس الآية ٦٥

(٣) سورة المطففين الآية ١

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٧٥) الجنى الداني ١/ ١٥

(٥) سورة يوسف الآية ٧٨.

(٦) سورة النساء الآية ١١.

(٧) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٧٥) ، والجني الداني ١/ ١٥.

(٨) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٢٥) ، والآية رقم ٢٨٤ من سورة البقرة.

(٩) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٧٥) ، و الجنى الداني ١/ ١٥.

الرابع: التمليك: نحو وهبت لزيد دينارًا .[١]

الخامس: شبه التمليك قال ابن مالك: ويعبر عنه بالاختصاص وتقع بين ذاتين؛ ثانيتهما لا تملك حقيقة، وإنما تختص بالأولى دون تملك من أحداهما نحو: «السرج للدابة »، و ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾.[٢]

السادس: التعليل نحو ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾[٣] وتعلقها بقوله تعالى: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا**﴾ وقيل: بما قبله، أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ورجح بأنهما في مصحف أُبيّ سورة واحدة، وضعف بأن جعلهم كعصف إنما كان لكفرهم وجرأتهم على البيت، وقيل: متعلقة بمحذوف تقديره: اعجبوا[٤]

السابع: توكيد النفي وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقة بما كان أو بلم يكن، ناقصتين مسندتين لما أسند إليه الفعل المقرون باللام نحو ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**﴾[٥]، ويسميها أكثرهم لام الجحود لملازمتها للجحد أي: النفي، قال النحاس: والصواب تسميتها لام النفي; لأن الجحد في اللغة: إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار والمعنى: ما كان ليعين لكم المنافقين حتى تعرفوهم ولكن يظهر ذلك بالتكليف والمحنة وقيل: ما كان

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٧٥) .

(٢) ينظر: أوضح المسالك (٣/ ٢٥) مغني اللبيب (١/ ٢٧٥) ، والآية من النحل ٧٢

(٣) سورة قريش الآية ١

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٧٦) ، وأوضح المسالك (٣/ ٢٦)

(٥) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

الله ليعلمكم ما يكون منهم ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من ذلك.[١]

الثامن: موافقة إلى نحو قوله تعالى: ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[٢].[٣]

التاسع: موافقة (علي) في الاستعلاء الحقيقي نحو: ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ**﴾[٤] يعني: على الأذقان، والمجازي نحو ﴿**وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾[٥] ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله تعالى عنها: (اشترطي لهم: الولاء)[٦] أي: عليهم "[٧]

العاشر: موافقة (في) نحو قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[٨] ونحو قولهم: مضى لسبيله قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾[٩] أي. في حياتي، وقيل: للتعليل، أي: لأجل حياتي

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٢٧٨) إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٠)

(٢) سورة الزلزلة الآية٥

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٢٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٨٠)

(٤) سورة الإسراء الآية ١٠٩

(٥) سورة الإسراء الآية ٧

(٦) أخرجه البخاري في باب الشروط في الولاء) . (٢٥٢/ ٩)

(٧) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٨٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٠)

(٨) سورة الأنبياء الآية ٤٧.

(٩) سورة الفجر الآية ٢٤.

في الآخرة.[١]

الحادي عشر: أن تكون بمعنى (عند) كقولهم: كتبته لخمس خلون وكقراءة الجحدري ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ**﴾[٢] بكسر اللام وتخفيف الميم أي: عند مجيئه إياهم[٣]

الثاني عشر: موافقة (بعد) نحو ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾[٤] أي: بعده، وفي الحديث (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته).[٥]

الثالث عشر: موافقة (من) نحو: سمعت له صراخًا، أي: سمعت منه صراخًا.[٦]

الرابع عشر: التبليغ وهي: الجارة لاسم السامع لقول أو ما في معناه، نحو قلت له، وأذنت له،

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٠) مغني اللبيب (١/ ٢٨٠) .

(٢) سورة ق الآية ٥.

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٠) مغني اللبيب (ص: ٢٨١)

(٤) ينظر: أوضح المسالك (٣/ ٣٠) ، و الآية رقم ٧٨من سورة الإسراء.

(٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في باب قول النَّبِي إذا رأيتمْ الهلال فصوموا وإذاَ رأيتموه فأفطِروا (٦/ ٤٨١) رقم الحديث (١٧٧٦) ، ومسلم من حديث أبي هريرة ٥/ ٣٥٥ رقم الحديث (١٨٠٩) .

(٦) ينظر: العوامل المائة النحوّية في أصول علم العربية ص١١٥ ومغني اللبيب (١/ ٢٨١)

وفسر ت له .[١]

الخامس عشر: موافقة (عن) إذا استعملت مع القول نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[٢].[٣]

السادس عشر: الصيرورة أي: لبيان ما يصير إليه الأمر، وتسمى كذلك «لام العاقبة»؛ لأنها توضح عاقبة الشيء وما يؤول إليه ".[٤] كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٥] ويحتمله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ .[٦]

ويحتمل أنها لام الدعاء؛ فيكون الفعل مجزومًا لا منصوبًا، ومثله في الدعاء ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾[٧] ويؤيده أن في آخر الآية ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.[٨]

السابع عشر: القسم والتعجب معًا ويشترط أن تكون جملة القسم محذوفة، وأن يكون المقسم به لفظ الجلالة؛ لأنها خلف عن التاء، والتاء أكثر ما تستعمل مع لفظ الجلالة، كقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٨١)

(٢) سورة الأحقاف جزء من الآية ١١

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٢٨٢)

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٢٩)

(٥) سورة القصص الآية ٨

(٦) سورة يونس الآية ٨٨

(٧) سورة نوح الآية ٢٤

(٨) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣٩٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٨٢)

﴿أَصْنَامَكُمْ﴾[1].

الثامن عشر: التعجب المجرد عن القسم، بشرط القرينة، ويغلب أن يكون بعد النداء كقولهم: يا للماء ويا للعشب إذا تعجبوا من كثرتهما، وقولهم: يا لك رجلًا عالمًا وفي غيره قولهم: لله دره فارسًا، ولله أنت.

وقيل أنها: «لام المدح» و «لام الذم» نحو: يا لك رجلًا صالحًا. ونحو: يا لك رجلًا جاهلًا .[2]

التاسع عشر: التعدية نحو قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[3] ، قال ابن هشام: والأولى عندي أن يمثل للتعدية بنحو: ما أضرب زيدًا لعمرو، وما أحبه لبكر .[4]

العشرون: التوكيد وهي اللام الزائدة نحو: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[5]. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾[6] و ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[7] .[8]

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٢٨، ٢٩) ، و الآية رقم (٥٨) من سورة الأنبياء

(٢) ينظر: مغني اللبيب (١/ ٢٨٢) الجنى الداني ١٦/ ١ رصف المباني ص ٢٩٦ أوضح المسالك (٣/ ٢٩)

(٣) سورة مريم الآية ٥

(٤) ينظر: الجنى الداني ١/ ١٦، رصف المباني صـ ٢٩٦، أوضح المسالك (٣/ ٢٩)، مغني اللبيب (١/ ٢٨٤) .

(٥) سورة يوسف الآية ٤٣.

(٦) سورة البقرة الآية ٩١.

(٧) سورة البروج ا لآية ١٦.

(٨) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٢٨) .

٨- معاني حرف الجر الكاف ومعناها الحقيقي (التشبيه):

الكاف هي حرف يجر الاسم الظاهر ولا يجر الضمير، ويستعمل أصليًا وزائدًا، الكاف المفردة جارة، ولها عدة معان[١]:

أحدها: التشبيه نحو قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾[٢]، ونحو: زيد كالأسد.

الثاني: التعليل: كقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾ أي" لهدايته إياكم .[٣]

الثالث: الاستعلاء ذكره الكوفيون، وأن بعضهم قيل له: كيف أصبحت؟ فقال: كخير، أي: على خير، وقيل: المعنى بخير، ولم يثبت مجيء الكاف بمعنى الباء وقيل: هي للتشبيه على حذف مضاف، أي: كصاحب خير[٤].

الرابع: التوكيد: وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ قال[٥] الأكثرون: التقدير ليس شيء مثله إذا لو لم تقدر زائدة، صار المعنى ليس شيء مثله، فيلزم المحال وهو إثبات المثل وانما زيدت لتوكيد نفي المثل[٦]

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٣٤: ٢٣٨) ، و الجنى الداني (١٢/١)

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٤

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٨

(٤) ذكر ابن مالك أن تكون بمعنى «على» كقول بعض العرب كخير، في جواب: كيف أصبحت؟ ينظر: الجنى الداني ١/ ١٣.

(٥) سورة الشورى: ١١.

(٦) ينظر: معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي (٣/ ٥٢) , الجنى الداني ١/ ١٣.

الخامس: المبادرة: وذلك إذا اتصلت بـ «ما» في نحو: سلِّم كما تدخل، وصلي كما يدخل الوقت قال ابن هشام: وهو غريب جدا.[١]

وبعد ذكر معاني حروف الجر يتبين اتفاق العلماء على أن لكل حرف جر معني أصلي وما ورد من معاني لهذا الحرف فهو ملحق بالمعني الأصلي على سبيل المجاز حسب السياق وهوما يعرف بتناوب حروف الجر على رأي الكوفيين ومن بينهم الفراء ولكنه اشترط أن يرجع المعني الأصلي للحرفين إلى شيء واحد[٢]

وقد رد المحققون من أهل العربية وقوع التناوب بين حروف الجر لأنها إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد منها بمعني الآخر وفي القول بذلك إبطال لحقيقة اللغة وإفساد للحكمة منها"[٣]

وهناك من توسط المانع والمجيز ومن بينهم ابن جني الذي قال: "أن ذلك يتبع الأحوال الداعية إليه فأما في كل موضع فلا".[٤]

وهناك من أوّل المعاني التي وردت لحروف الجر بوقوع التضمين[٥] بين الأفعال فإذا كان في الفعل بمعني فعل آخر وكان أحدهما يصل إلى معموله بحرف والآخر يصل بحرف آخر فإنه يقع مكانه كما في قوله تعالي "أحل

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٣٨) .

(٢) ينظر :معاني القرآن للفراء ٣٩٥/٢.

(٣)ينظر :الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٢٤/١.

(٤) الخصائص لابن جني ٣٠٨/٢.

(٥) التضمين: هو أن يقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر. ينظر: معاني القرآن للأخفش ١٣٩/١.

لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم"[1] لما كان الرفث بمعني الإفضاء الذي يتعدى ب "إلى "جاء ب "إلى" هنا في هذه الآية.

لذا لابد من الوقوف حول أثر السياق القرآني في تحديد معاني حروف الجر في القرآن الكريم وذكر شواهد على ذلك من القرآن الكريم والتي توضح سر التعبير بحرف الجر في السياق القرآني وما يترتب على ذلك من معاني تفسيرية وهي الدراسة التطبيقية وهي كما يلي:

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية

أثر السياق القرآني في تحديد المعاني التفسيرية والفقهية لحروف الجر

(نماذج مختارة من القرآن الكريم)

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر «على»:**

*يتضح أثر السياق القرآني لاستعمال حرف الجر "على" في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

ففي هذا السياق القرآني تعدي الفعل «أخذ» أولًا بحرف الجر «في» في قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ ثم التحول عنه إلى حرف الجر «على» في قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ لأن إيثار حرف الظرفية مع التقلب قصد بها الدلالة على كمال القدرة الإلهية في الوصول بالانتقام إلى من يريد، مهما بدا للمأخوذ أنه في كمال القدرة والقوة، ذلك أن التقلب يعني حركة الحياة التي أقبل عليها مقترفو السيئات مما يدل على أنهم في كامل صحتهم وقوتهم، وكمال سلطانهم وجبروتهم، وأما التحول إلى «على» في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فإن الاستعلاء فيها يدل على أن الله زادهم عذابًا فوق عذاب الخوف وآلامه، وهو بلاء كان قد وقع بهم من قبل وأصابهم بأمراض

(١) سورة النحل الآيات (٤٧، ٤٦، ٤٥) .

الذعر والقلق وافتقاد الأمن والطمأنينة، ثم جاء عقابه وأخذهم بما اقترفوه بلاء فوق البلاء، وعذابًا على عذاب فيكون معنى الظرفية في حرف الجر «في» قد دلَّ على كمال قدرة الله في الأخذ والبطش والانتقام، وأفاد معنى الاستعلاء «على» الزيادة في التنكيل والعذاب، فكل حرف قد جاء في موضعه المناسب له، ولا يمكن أن يحل محل غيره.

* **قال الإمام الألوسي:** «وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن إصابة العذاب فيهما بالأخذ وعن إصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالإتيان وجيء ب (في) مع التقلب وب (على) مع التخوف قيل: لأن في التقلب حركتين فكان الشخص المتقلب بينهما ولا كذلك التخوف، وقيل لما كان التقلب شاغلًا الإنسان بسائر جوارحه حتى كأنه محيط به وهو مظروف فيه جيء ب (في) معه، والتخوف أي المخافة إنما يقوم بعضو من أعضائه فقط وهو القلب المحيط به بدن الإنسان فلذا جيء ب (على) معه، وقيل: إن (على) بمعنى مع أي يأخذهم مصاحبين لذلك ولما كان التخوف نفسه نوعا من العذاب لما فيه من تألم القلب ومشغولية الذهن وكان الأخذ مشيرًا إلى نوع آخر من العذاب أيضًا جيء ب (على) التي بمعنى (مع) ليكون المعنى يعذبهم مع عذابهم ولم يعتبر ذلك مع التقلب مرادًا به الإقبال والإدبار في الأسفار والمتاجر لأنهم لا يعدون ذلك عذابًا».[1]

* وبهذا يتضح أن دلالة حروف الجر ليس في نفسها كما هو الحال في الأسماء والأفعال، وإنما تكتسب دلالتها من خلال ارتباطها بنظم الكلام من

(١) ينظر: تفسير الألوسي (٧/ ٣٩١)

خلال السياق القرآني، ويظهر أثر السياق في تخصيص دلالة الحرف وتحديده فمعنى الاستعلاء في حرف الجر «على» قد يرد في سياق العلو والتشريف والتفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ وفي سياق الأخذ والعذاب كما في قوله تعالى: ﴿**أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ**﴾ أفاد شدة العذاب وزيادته، وكذلك حرف الظرفية «في» في قوله: ﴿**أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ أفاد معنى التسفل والسقوط لأنه سياق ذم وتوبيخ لحالهم، فقد دل على العكس من ذلك في قوله: ﴿**أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ**﴾ إذ دل على كمال القدرة في الأخذ والتعذيب، لأنه سياق إبراز قوة وقدرة.(١)

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر" في".**

*يتضح أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر" في" ومن ذلك.

قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾(٢).

كان يقتضي السياق أن تأتي الآية على نسقِ واحد فيقول «منه تسيمون» ولكنه تحول عن «من» إلى «في» لدلالة أوضحها الإمام ابن عاشور بقوله: «والشجر: يطلق على النبات ذي الساق الصلبة، ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليبا .وروعي هذا التغليب هنا لأنه غالب مرعى أنعام أهل الحجاز

(١) ينظر: بحث حول تحولات حروف المعاني في السياق القرآني د/ عبد الله على الهتاري مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد الثالث والثلاثون الجزء الخامس عام ٢٠١٤م ص (٣٦٣٨)

(٢) سوره النحل الآية (١٠)

لقلة الكلأ في أرضهم، فهم يرعون الشعاري والغابات .وفي حديث «ضالة الإبل تشرب الماء وترعى الشجر حتى يأتيا ربُّها»[١] .

ثم قال: «ومن الدقائق البلاغية الإتيان بحرف (في) الظرفية، فالإسامه فيه تكون بالأكل منه والأكل مما تحته من العشب».[٢]

وقد فهم الإمام ابن عاشور هذا المعنى الدقيق لحرف الجر «في» من معرفته بحياة الحجاز التي نزل فيها القرآن فجاء المقال موافقًا لمقتضي الحال.

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر" في " و "من".**

قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[٤]، فعدي فعل البعث بمن في الآية الأولى ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ**﴾ ثم تحول عنه إلى «في» في قوله: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾ لماذا لم يقترن السياق ويتعدى بمن في الموضعين؟

قال الإمام السيوطي: «إن «في» بمعنى «من» فقوله ﴿**فِي كُلِّ أُمَّةٍ**﴾ أي

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٠٢٧) رقم الحديث (٤٩٨٦)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ١١٤) تحولات حروف المعاني في السياق القرآني ص (٣٦٤٢)

(٣) سورة النحل الآية ٨٤

(٤) سوره النحل الآية ٨٩

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾»[1].

ولكن القول بتناوب الحروف خروج عن تذوق البيان ومعرفة إعجاز القرآن والذي يظهر أن هذا السياق القرآني يقرر الشهادة على مرحلتين الأولي: مرحلة بعث الشهداء من أممهم فمن كل أمةٍ يخرج الله شهيدًا منها كما في الآية الأولى، والمرحلة الثانية والأهم هي مرحلة إدلاء الشهادة فيدلي كل شهيدٍ بشهادته على أمته، والشهداء هم الرسل والأنبياء، وهم كالرقباء على أقوامهم لذا كانت هذه المرحلة أشد من سابقتها على الشهداء والمشهود عليهم لأنها إدلاء بالشهادة وتقرير بحكم، لذلك ناسب فيها التأكيد في تفصيل جنس هؤلاء الشهداء فهم في كل أمة فأفاد حرف الجر «في» الظرفية والمخالطة، فكل شهيدٍ من هؤلاء قد خالط قومه وعرفهم وعاش معهم وكان كالرقيب على أعمالهم فكانت «في» أدلَّ على هذا المعنى من غيرها[2] .

* ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أيها الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[3].

قال الإمام الزمخشري: «في إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) للإيذان بأنه مستقرون في الكفر لا يبرحون وإنما يتنقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر كإظهار موالاة المشركين وإبراز آثار الكيد للإسلام» والمعنى: «لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فِي الْكُفْرِ أى: في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين، فإني ناصرك عليهم

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٦٧

(٢) ينظر: تحولات حروف المعاني في السياق القرآني ص (٣٦٤٠) بتصرف

(٣) سورة المائدة الآية (٤١) .

وكافيك شرّهم. يقال: أسرع فيه الشيب، وأسرع فيه الفساد، بمعنى: فيه سريعًا، فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه، أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطؤها».[1]

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر (الباء):**

* قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقد جاء حرف الجر «في» على لسان قوم نوح لنبيهم في قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. وهذا الحرف يفيد الظرفية، فكأن الضلال أصبح ظرفًا له، وهو مظروف فيه، محيط به من كل مكان، فردَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ فتحول في جوابه لهم إلى الباء فلم يوافق جوابه قولهم فيكون «لستُ في ضلالٍ مبينٍ» وفي هذا السياق نجد أن جواب نوح قد تضمن تحولين تحولًا نحويًا متمثلًا في التحول عن حرف الجر "في "إلى الباء، وتحولًا صرفيًا في التحول عن المصدر «ضلال» إلى اسم المَرة «ضلالة» وذلك أن اقتران جوابه بالباء فيه إمعانٌ في نفي لصوق أدني ضلالة به فضلًا عن انغماسه في الضلال أصلًا وهذا يؤكده اسم المرة «ضلالة» لذا ناسب مجيء جوابه لهم بالباء تحولًا عن حرف الوعاء «مبالغة في نفي اقترابه من الضلال وتلبسه به»[3]، وهذا يرد بكثرة في سياق خطاب

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/ ٦٣٣) .

(٢) سورة الأعراف الآيات (٦٠، ٦١، ٦٢) .

(٣) ينظر: من أ سرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص (١٢٢، ١٢٣)

الأنبياء لأقوامهم ومن ذلك قول قوم هود لنبيهم قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

قال الإمام الزمخشري: «وجعلت السفاهة ظرفًا على طريق المجاز: أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها. وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم- أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عزّ وجلّ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم»(٢).

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حروف الجر الباء واللام وإلى:**

* ورد فعل الإحسان في القرآن الكريم متعديًا بالباء واللام وإلي ولكل تعديةٍ موضعها وغرضها والذي يحدد ذلك السياق القرآني :

وقد حمل بعض النحاة والمفسرين تعديته بالباء على تعديته ب إلى مع أن هذا الفعل لم يرد في القرآن معدّى ب إلى إلا مرة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٣) فقد أفاد حرف الجر «إلى» إشارةً إلى بُعد قارون عن ربه وأن إحسان الله تعالى إليه ليس مصحوبًا بمعية الله

(١) سوره الأعراف الآيات (٦٦، ٦٧)

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري ٢/ ١١٦

(٣) سوره القصص الآية (٧٧) .

وحبه له وإنما هو من قبيل الاستدراج لا من قبيل الإكرام.[١]

* وورد خمس مرات معدّى بالباء كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ**﴾[٢] فإنه لم يقصد به مجرد إيصال الإحسان إليه وإنهائه بل قصد من إحسان الله تعالى أنه صحبه في رحله حياته كلها.

قال الامام الزركشي في كتابه البرهان: «يُقَالُ: أَحْسَنَ بِي وَإِلَيَّ وَهِيَ مُخْتَلِفَةُ الْمَعَانِي وَأَلْيَقُهَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «بِي» لِأَنَّهُ إحْسَانٌ دَرَجَ فِيهِ دُونَ أَنْ يَقْصِدَ الْغَايَةَ الَّتِي صَارَ إلَيْهَا»[٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾.[٤]

وورد مرتين معدّى باللام كقوله تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾[٥].

قصد به بيان غني الله عن إحسان خلقه فهو لا ينتفع بطاعة ولا تضره معصية فإحسان المرء لا يجني ثمرته غيره ومن ثَمّ جاءت اللام دالةً على اختصاص المحسن بإحسانه ولم يقصد به إيقاع الإحسان بأنفسهم ولا إلصاقه بهم ولا إيصاله إليهم»[٦]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا**﴾.[٧]

---

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر ص (٢٠٠) .
(٢) سوره يوسف الآية (١٠٠) .
(٣) ينظر: البرهان للزركشي (٤/ ١٧٦) .
(٤) سورة النساء الآية (٣٦) .
(٥) سورة الإسراء الآية (٧) .
(٦) ينظر: من أسرار حروف الجر ص (١٩٨) .
(٧) سوره الطلاق الآية (١١) .

*قال الإمام الرازي: «لفظ الإحسان قد يوصل بحرف الباء تارة، وبحرف (إلى) أخرى، وكذلك الإساءة، يقال: أحسنت به وإليه وأسأت به وإليه. في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.[1] والمعنى: وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا عظيمًا كاملًا، وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك، ثم على جميع التقديرات فلا تحصل المكافأة، لأن إنعامهما عليك كان على سبيل الابتداء، وفي الأمثال المشهورة: «أن البادي بالبر لا يُكافأ».[2]

* قال الإمام محمد رشيد رضا: «﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا تامًا لا تقصروا في شيء منه، يقال: أحسن به وأحسن له وأحسن إليه، وقيل: إذا تعدى الإحسان بالباء يكون متضمنًا لمعنى العطف، وعندي أن التعدية بالباء أبلغ لإشعارها بإلصاق الإحسان بمن يوجه إليه من غير إشعار بالفرق بينه وبين المحسن، والتعدية بـ «إلى» تشعر بطرفين متباعدين يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر»[3].

* ويظهر أثر السياق القرآني في دلالة حرف الجر الباء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

(١) سورة الإسراء الآية (٢٣) .

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٠/ ٣٢١: ٣٢٣) .

(٣) ينظر: تفسير المنار (٥/ ٦٩، ٦٨) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاعبدوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ، الآية (٣٦) من النساء .

﴿عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.[١]

قال الإمام الزمخشري: « فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلا، وبحرف الإلصاق آخرا؟ قلت: لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأوّل غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل»[٢] .

قال الشيخ محمد أمين الخضري: «وأجد في الباء هنا دلالة تهمس بأن العين هي مستراحهم والمكان الذي يجدون فيه متعه العين وسعادة النفس فالكأس بأيديهم وهم على حافه العين يشربون، كلما فرغت الكأس ملؤوها منها ولذة الشرب ممزوجة بلذة العين فجاءت الباء دلالة على التصاقهم بالعين وقربهم منها»[٣] .

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر"في" و"من".**

يظهر أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "في" و "من" في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا**﴾.[٥]

فأتي بحرف الجر «في» في قوله: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا**﴾ ثم تحول إلى

---

(١) سورة الإنسان الآيتان (٥، ٦) .

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٦٦٨) .

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر ص (١٩٧) .

(٤) سورة النساء الآية (٥)

(٥) سوره النساء الآية (٨)

حرف الجر «من» في قوله: «﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ وسر هذا: أن الآية الأولي خطاب للأولياء ودعوة لهم إلى استثمار أموال اليتامى والتجارة فيها وأن ينفق عليهم من أرباح المال لا من أصله».

قال الإمام الزمخشري: «﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ واجعلوها مكانًا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق»[(١)]، وهذا المعنى ناشئٌ من تركيب الفعل مع حرف الظرفية فجعل الأموال ظرفًا للرزق، وقد تحول عن «في» إلى «من» في قوله تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ لأن المدفوع لذوي القربي واليتامى والمساكين حال حضورهم القسمة هو من أصل مال التركة فجاءت «من» التبعيضية للدِلالة على إعطائهم من بعض الميراث على سبيل المواساة والإحسان.[(٢)]

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "على":**

يتضح أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "على" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[(٣)].

قال الإمام الزمخشري: «إن قلت: هلا قيل: أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يضمن معنى (الذل) الحنو والعطف كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع .والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضين لهم أجنحتهم نحو قوله

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (١/ ٤٧٢)

(٢) ينظر: تحولات حروف المعاني في السياق القرآني ص (٣٦٤٠)

(٣) سورة المائدة جزء من الآية (٥٤)

تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾»[1].[2]

وقد ذكر الإمام الألوسي عدة معان تظهر أثر السياق في التعبير بحرف الجر "على" منها أولًا: «ولعل المراد بذلك أنه استعيرت (على) لمعنى اللام ليؤذن بأنهم غلبوا غيرهم من المؤمنين في التواضع حتى علوهم بهذه الصفة، أو المراد به أنه ضمن الوصف معنى الفضل والعلو يعني أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم أذلاء في أنفسهم بل لإرادة أن يضموا إلى علو منصبهم وشرفهم فضيلة التواضع.

ثانيًا: وعديت الذلة بـ (على) لأن العزة في قوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عديت بها من باب المشاكلة أو أن العزة تتعدى بـ (على) والذلة ضدها فعوملت معاملتها لأن النظير يحمل على النظير.

ثالثًا: ومعنى كونهم أعزة على الكافرين: أنهم أشداء متغلبون عليهم، وهذا الوصف جيء به للتكميل لأن الوصف قبله يوهم أنهم أذلاء محقرون في أنفسهم فدفع ذلك الوهم للإتيان به»[3].

* قال الإمام ابن عاشور: والأذلة والأعزة وصفان متقابلان وصف بهما القوم باختلاف المتعلق بهما، فالأذلة جمع الذليل وهو الموصوف بالذل وهو: الهوان والطاعة، فهو ضد العز قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[4]، والصفة الذل قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ

(١) سورة الفتح جزء من الآية (٢٩)
(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٣٩) .
(٣)ينظر :تفسير الألوسي (٣/ ٣٣١) .
(٤) سورة آل عمران: الآية (١٢٣)

﴿الرَّحْمَةِ﴾[1]. ويطلق الذل على لين الجانب والتواضع، وهو مجاز، ومنه ما في هذه فالمراد هنا: الذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولتضمين أذلة معنى مشفقين حانين عدي بـ «على» دون اللام، أو لمشاكلة (على) الثانية في قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

والأعزة جمع العزيز فهو المتصف بالعز، وهو القوة والاستقلال، ولأجل ما في طباع العرب من القوة صار العز في كلامهم يدل على معنى الاعتداء، وقد أصبح الوصفان متقابلين، وإثبات الوصفين المتقابلين للقوم صناعة عربية بديعية، وهي المسماة الطباق، وبلغاء العرب يعبرون بها، وهي عزيزة في كلامهم، وقد جاء كثير منها في القرآن.

وقال أيضًا: وفيه إيماء إلى أن صفاتهم تسيرها آراؤهم الحصيفة فليسوا مندفعين إلى فِعل ما إلَّا عن بصيرة، وليسوا ممن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون لينا في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال».[2]

*** ومن أثر السياق القرآني في تحديد معنى حرف الجر "على":**

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾[3].

(١) سورة الإسراء: الآية (٢٤)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢٣٧)

(٣) سورة المطففين الآيات ١، ٢.

ذكر العلماء أن «على» تقع بمعنى «من» وهذا على مذهب الكوفيين القائلين بنيابة حروف الجر وذهب البصريون إلى التضمين والمعني: أي: «حكموا على الناس بالكيل». وقد ذكر الإمام أبو السعود المعنى على التضمين فقال: «معنى قوله: ﴿**الذين إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النـاس يَسْـتَوْفُونَ**﴾ إلخ صفةٌ كاشفةٌ للمطففينَ شارحةٌ لكيفية تطفيفهم الذين استحقُّوا بهِ الذمَّ والدعاءَ بالويل أي: إذَا اكتالُوا منَ النَّاسِ مكيلَهم بحكمِ الشراءِ ونحوِهِ يأخذونَهُ وافيًا وافرًا، وتبديلُ كلمةِ «عَلَى» بـ «مِن» لتضمينِ الاكتيالِ مَعْنى: الاستيلاءِ، أو للإشارةِ إلى أنَّه اكتيال مضربهم لكنْ لاَ علَى اعتبارِ الضررِ في حيزِ الشرطِ الذي يتضمنُه كلمةُ (إذَا) لإخلالِه بالمَعْنى بلْ في نفسِ الأمرِ بموجبِ الجوابِ، فإن المراد بالاستيفاء ليسَ أخذَ الحقِّ وافيًا من غيرِ نقصٍ بل مجردُ الأخذِ الوافِي الوافِر حسبما أرادُوا بأي وجهٍ تيسرَ من وجوهِ الحيلِ، وكانُوا يفعلونَهُ بكبسِ المكيلِ وتحريك المكيال واحتيال في ملئهِ»[1].

قال الإمام الزمخشري: إن على بمعنى «بمن»: «لما كان اكتيالهم اكتيالًا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل «على» مكان «من» للدلالة على ذلك»[2].

وقد كان الزمخشري خير من كشف أن اختصاص حرف الاستعلاء من مواطن حرف الابتداء.

وقال الإمام الفراء بالتناوب وذكر: «أن «على» و «من» تعتقبان هنا يقال: اكتلت على الناس: استوفيت منهم، واكتلت منهم: أخذت ما عليهم،

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٤) (٩/ ١٢٥)
(٢)ينظر : تفسير الزمخشري (٤/ ٧١٩)

وقيل: «على» بمعنى «من» يقال: اكتلت عليه ومنه، بمعنى، والأول أوضح»[1].

وما قاله الفراء من صحة وقوع الحرفين مع فعل الاكتيال انما هو وقوف عند الدلالة المعجمية للفعل وليس استنباطًا لأسرار الفعل والحرف في السياق القرآني.

ولو أجرينا على قول الفراء أن الاكتيال إذا عدي ب "علي" دل على أخذ الحق لما كان فيه ذمٌ للمطففين ولما استحقوا هذا الوصف إلا في جانب واحد وهو جانب الإيفاء لا الاستيفاء لأنه هو الذى صرح فيه بالإخسار وليس ذلك من شأن المطففين .

وقد وافق الفراء الإمام الطبري فقال: «معنى قوله: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾ أي: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حق، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيًا، و «على» و «من» في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل: اكتلت منك، يراد: استوفيت منك».[2]

<u>وبعد دراسة أقوال العلماء يتبين أن:</u>

* القول بتناوب حروف الجر رفضه البصريون وكذلك تضمين الاكتيال معني الحكم لا تتحقق فيه شروط التضمين لعدم وجود المناسبة بين معني الكلمة ومعني ما تضمنته فلا توجد مناسبة بين الحكم والاكتيال أو الاستيلاء بل إن الاستيلاء والتسلط من المعاني التي دلَّ عليها الفعل بواسطة حرف

(١)ينظر :معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٤٦)

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٨) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٤)

الاستعلاء .وقد دلَّ ذلك أنه لا تضمين في الفعل وأن حرف الاستعلاء ليس بمعني الابتداء وإنما هي على أصل معناها الذي يوحي بالتحامل والإضرار بمن كتب عليه التعامل مع هؤلاء المطففين فلو أن الفعل تعدي بحرف الابتداء لما دلَّ على ظلمهم وتجاوزهم في الاكتيال وأخذهم ما ليس من حقهم.

*** ومن أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر"على" وإلى":**

وردت بعض الأفعال في القرآن الكريم متعدية بحرف الاستعلاء ومرة أخري بحرف الانتهاء ولها في كل سياق معنىً مختلف عن غيره:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝٩٣﴾[1].

ففي الموضع الأول: قوله «فراغ إلى ءالهتهم» دل على قصد إبراهيم إلى أصنامهم، والسعي إليها خفية جيء بـ «إلى» معبرة عن انتهائه إليها ومشيرة إلى جعل وصوله إليها غاية حتي يحقق ما عزم عليه من الوصول لهدفه الذي عزم على تحقيقه.

وفي الموضع الثاني: «فراغ عليهم ضربًا» دلَّت على ما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام بآلهتهم وتحطيمه لها ولذلك جيء بحرف الاستعلاء «على» لتدل بمعني الاستعلاء على تمكنه منها وقهره لها وما لحقها من آثار التحطيم والتدمير وأن هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها وقد صورت الآية عجز هذه الآلهة وضعفها وهي

(١) سورة الصافات الآية ٩١ – ٩٣.

ذليلة أمام نبي الله إبراهيم ينهال عليها ضربًا وتحطيمًا دون أن تدفع عن نفسها ما نزل بها من الضر وفي ذلك تهكم بعقول من يعبدونها من دون الله.

وقد نبَّه الراغب على دلالة حرف الجر «إلى» الدال على انتهاء الغاية و«على» الدال على الاستعلاء في هذه الآية فقال: « رَاغَ فلان إلى فلان: مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال قال: ﴿فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ﴾(١)، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾(٢)، أي: مال، وحقيقته: طلب بضرب من الرَّوَغَانِ، ونبّه بقوله: (على) على معنى الاستيلاء».(٣)

وقد ذكر الإمام الزمخشري المعني في الآية فقال: «فَرَاغَ إِلى آلِهَتِهِمْ "فذهب إليها في خفية، من روغه الثعلب، إلى آلهتهم: إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة، كقوله تعالى: أين شركائي؟ "أَلا تَأْكُلُونَ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ "استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فَرَاغَ عَلَيْهِمْ فأقبل عليهم مستخفيًا، كأنه قال: فضربهم ضَرْبًا لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم. أو فراغ عليهم يضربهم ضربًا ،أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربًا».(٤)وبهذا يتضح أثر السياق القرآني في التعبير بحرف الاستعلاء في الآية الكريمة لدلالته على المعني المراد من الآية.

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "اللام":**

١- يتضح أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "اللام" في

---

(١) سورة الذاريات ٢٦.

(٢) سورة الصافات الآية ٩٣.

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن للراغب (صـ ٣٧٣) .

(٤)ينظر :تفسير الزمخشري (٤/ ٥٠) .

قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[1]. قوله تعالى: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ في اللام ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بمعنى(على) أي على الأذقان كقولِهم: خرَّ على وجهِه، والثاني: أنها للاختصاص، قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الخرور للذقن؟ قلت: السقوط على الوجه، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين، لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن.

«فإن قُلْتَ: حرفُ الاستعلاءِ ظاهرُ المعنى إذا قلت: (خَرَّ على وجهه وعلى ذَقْنه) فما معنى اللام في (خرَّ لذَقْنِه ولوجهه)؟ قلت: معناه: جَعَلَ ذقَنَه ووجهَه للخُرور، واختصَّ به؛ لأنَّ اللامَ للاختصاص فإن قلت: لم كرر يخرون للأذقان؟ قلت: لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين»[2].

والثالث: قال أبو البقاء «إنها متعلقة بقوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ﴾ واللام على بابها، أي: مذلون للأذقان، والأذقان: جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين».[3]

وبهذا يتضح سر التعبير بحرف اللام في الآية الكريمة لأنها تصور حال أهل العلم والإيمان حينما يستمعون آيات الله فتجدهم خاشعين باكين خوفًا من الله ومن شدة تأثرهم بآيات الله يخرون ساجدين لله أذلاء خاضعين لعظمة الله تعالى فكلما سجدوا لله ارتفع قدرهم عند الله.

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٧.

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٧٠٠) تفسير ابن عطية (٣/ ٤٩١) .

(٣) ينظر: الدر المصون (٧/ ٤٢٨) الفريد ٣/ ٣٠٧ تفسير الزمخشري (٢/ ٧٠٠)

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر اللام و "في":**

* قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا يتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. ونحوه قولك: إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها، ثم قال: فإن قلت: لم عدل عن «اللام» إلى «في» في الأربعة الأخيرة؟

قلت: «للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره، لأنّ «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبًا، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، وتكرير «في» في قوله: ﴿**وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين».[2]

ثانيًا: وأضاف الإمام الألوسي قوله: « فاللام لمجرد الاختصاص، ثم إن

---

(١) سورة التوبة الآية (٦٠)

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٢٨٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٥/ ٤٤٥:٤٤٦) إعراب القرآن وبيانه (٤/ ١١٩) .

هناك سرًا آخر هو أظهر وأقرب وذلك أن الأصناف الأوائلُ ملّاك لما عساه أن يدفع إليهم وإنما يأخذونه تملكًا فكان دخول (اللام) لائقا بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون لما يصرف نحوهم بل ولا يصرف إليهم ولكن يصرف في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون أو البائعون فليس نصيبهم مصروفًا إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بملكهم لما يصرف نحوهم وإنما هم محال لهذا الصرف ولمصالحه المتعلقة به، وكذلك الغارمون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصًا لذممهم لا لهم، وأما في سبيل الله فواضح فيه ذلك، وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجًا في سبيل الله، وإنما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته».[1]

*** أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "في" و"على":**

* ورد حرف الجر «على» في كتب المفسرين بمعنى «في» وقد ذكر كثير من اللغويين والمفسرين هذا القول حينما كان يستغلق عليهم سر إيثار «على» في موضع واختصاص « في» موضع آخر فيما اشتبه نظمه في القرآن الكريم:

ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥﴾.

قال الإمام الزمخشري:« فإن قلت: هلا قيل: على قلوبنا أكنة، كما قيل: وفي آذاننا وقرٌ، ليكون الكلام على نمط واحد؟ قلت: هو على نمط واحد،

(١) ينظر: روح المعاني (٥/ ٣١٤) تفسير القرطبي (٨/ ١٦٧) بتصرف

لأنه لا فرق في المعنى بين قولك: قلوبنا في أكنة. وعلى قلوبنا أكنة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[1] ولو قيل: إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى، وترى المطابيع منهم (قليلي المعرفة)لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني»[٢].

وبهذا يتضح أن الإمام الزمخشري سوى في الدلالة بين حرفي الجر «على» و «في» ونراه حمل على من يقول بتساوي الحرفين من حروف المعاني وصحة أحدهما في موضع الآخر.

وقد ذكر أيضًا: فإن قلت: يجرى لأجل مسمى، ويجرى إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن. ولكن المعنيين. أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأنّ قولك يجرى إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهى كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض، لأنّ قولك يجرى إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهى إليه. وقولك: يجرى لأجل مسمى: تريد يجرى لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى. ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة، وجرى القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين غير ناب به موضعه»[٣].

فلم قبل هنا أن يكون الحرفان بمعني واحد ولماذا رفض أن يكون إيثار «في» من قبيل المشاكلة اللفظية نراه جعل هذه المشاكلة اللفظية سر اختيار

---

[1] سورة الكهف الآية

(٢) ينظر تفسير الزمخشري (٤/ ١٨٥).

(٣)ينظر : الزمخشري (٣/ ٥٠٢) .

حرف الاستعلاء مع صحة حرف الوعاء "في "مكانه، أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[1]، قال: فإن قلت: هلا قيل: وفي الفلك، كما قال: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؟

قلت: معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء: كلاهما مستقيم، لأنّ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها، فلما صح المعنيان صحت العبارتان. وأيضا فليطابق قوله وَعَلَيْها ويزاوجه»[2].

وبتأمل ما جاء في هذه السورة مؤثرًا حرف الوعاء «في أكنة» ومقابلته بثلاثة مواضع أخري أوثر فيها حرف الاستعلاء نستطيع أن نجد من أغراض النظم الكريم ما يتطلب كلا في موضعه فالمواضع الثلاثة التي خصت بحرف الاستعلاء «على» إنما هي إخبار من الله تعالى بعدم قبولهم للهداية؛ لأنه ختم على قلوبهم وأسماعهم فهم لا يسمعون ولا يعقلون وقد جاءت مخاطبة الرسول علية السلام تسلية له وتخفيفًا من آلامه وحزنه على عدم استجابة قومه له ورفضهم قبول دعوته وكأنه يقول له لست مسئولا عن إعراضهم وهل بمقدورك أن تسمع الأصم وتصل بدعوتك إلى قلوب طبع الله عليها وهذا سياق المواضع الثلاثة وهي ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا

(١) سورة غافر الآية ٨٠.

(٢)ينظر : تفسير الزمخشري (٤/ ١٨٠) .

(٣) سورة الأنعام الآية (٢٥) .

مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴿٤٧﴾﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[2].

وإخبار الله تعالى بعدم نفاذ الحق إلى أسماع الكافرين وإشراق نور الهداية على قلوبهم يكفي فيه جعل الأكنة مستعلية على القلوب دالة على أنها أغطية تحول دون وصول الهداية إليه أما الآية التي في سورة فصلت فجاءت على ألسنة المشركين مكتسبة ثوبًا من المبالغة في رفض الاستماع إلى الوحي معلنين أن حرفًا واحدًا لا ينفذ إلى أسماعهم وأن قلوبهم قد أحاطت بها أغطية كثيفة وشملتها اشتمال الظرف للمظروف بحيث لن تجد دعوة الرسول ثغرةً تنفذ منها إلى هذه القلوب وإمعانًا في تكثيف الموانع والحواجز أعلنوا أنهم أقاموا بينه وبينهم حجابًا يمنع وصول صوته إليهم لهذا كانت «في» الدالة على الظرفية على احتواء الأكنة للقلوب وإحاطتها بها هي الأنسب لهذا المقام لتوافقها مع السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآيات.

* وقد ذكر الإمام أبو حيان السر بالتعبير بحرف الاستعلاء و الظرفية أثناء تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا﴾ قيل ظاهره الغطاء والصمم هنا

(١) سورة الإسراء الآية (٤٥:٤٧)

(٢) سورة الكهف الآية (٥٧)

ليسا حقيقة بل ذلك من باب استعارة المحسوس للمعقول حتى يستقر في النفس، استعار الأكنة لصرف قلوبهم عن تدبر آيات الله، والثقل في الأذن لتركهم الإصغاء إلى سماعه ألا تراهم قالوا: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ فلما لم يتدبروا ولم يصغوا كانوا بمنزلة من على قلبه غطاء وفي أذنه وقر. وقال قوم: ذلك حقيقة وهو لا يشعر به كمداخلة الشيطان باطن الإنسان وهو لا يشعر به، أو المعني : أنهم كانوا يستمعون القراءة ليتوصلوا بسماعها إلى معرفة مكان الرسول بالليل فيقصدوا قتله وإيذاءه، فعند ذلك كان الله يلقي على قلوبهم النوم وهو المراد من الأكنة وتثقل أسماعهم عن استماع تلك القراءة بسبب ذلك النوم وهو المراد بقوله: في آذانهم وقرٌ. وقيل: إن الإنسان الذي علم الله منه أنه لا يؤمن وأنه يموت على الكفر يسم الله قلبه بعلامة مخصوصة تستدل الملائكة برؤيتها على أنهم لا يؤمنون، وإذا ثبت هذا فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان. وقيل: لما أصروا على الكفر صار عدولهم عن الإيمان كالكنان المانع عن الإيمان فذكر تعالى ذلك كناية عن هذا المعنى. وقيل: لما منعهم الألطاف التي إنما تصلح أن يفعل بمن قد اهتدى فأخلاهم وفوضهم إلى أنفسهم ليسوء صنيعهم لم يبعد أن يضيف ذلك إلى نفسه، فيقول: وجعلنا على قلوبهم أكنة".[1]

وقد ذكر الزمخشري: "أن الأكنة على القلوب والوقر في الآذان تمثيل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم: وفي آذاننا

(١) ينظر البحر المحيط في التفسير (٤/ ٤٦٩.

وقر ومن بيننا وبينك حجاب"[١].

*** أثر السياق القرآني في تحديد معنى حرف الجر "على":**

ورد حرف الجر "على" في كتب اللغة والتفسير بمعني المصاحبة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾﴾[٢] قال الإمام الزمخشري[٣]: «عَلَى في قوله: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ بمعنى "مع".

* فتكون "على" قد خرجت عن معناها الأصلي إلى معني المصاحبة وهو رأي الكوفيين الذين يرون أن للحرف عدة معاني وأن حروف الخفض ينوب بعضها عن بعض أما البصريون فيمنعون ذلك ويعتبرونه على سبيل الشذوذ لذلك».

وذكر أبو حيان: إنها على أصلها من الاستعلاء ولكنه على سبيل المجاز، فقال: "وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة فيها بهبة الولد أعظم من حيث إن الكبر مظنة اليأس من الولد، فإن مجيء الشيء بعد الإياس أحلى في النفس وأبهج لها. وعلى الكبر في موضع الحال لأنه قال: وأنا كبير، و"على "علي بابها من الاستعلاء لكنه مجاز، إذ الكبر معنى لا جرم يتكون، وكأنه لما أسن وكبر صار مستعليا على الكبر.[٤].

قال الإمام الألوسي: مؤيدًا ما قاله الإمام الزمخشري وكلام الإمام أبو

(١) ينظر تفسير الزمخشري (٢/ ١٤) .
(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٩ .
(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٥٦١) .
(٤) ينظر البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٤٩) .

حيان: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي مع كبر سني ويأسي عن الولد- فعلى- بمعنى مع، والتقييد بذلك استعظاما للنعمة وإظهار الشكر لها.

ويصح جعل «على» بمعناها الأصلي والاستعلاء مجازي قال الإمام أبو حيان ، ومعنى استعلائه على الكبر أنه وصل غايته فكأنه تجاوزه وعلا ظهره كما يقال: على رأس السنة، وفيه من المبالغة ما لا يخفى، وقال بعضهم: لو كانت للاستعلاء لكان الأنسب جعل الكبر مستعليا عليه كما في قولهم: على دين، وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٌ﴾[1]، بل الكبر أولى بالاستعلاء منهما حيث يظهر أثره في الرأس ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[2]، نعم يمكن أن تجري على حقيقتها بجعلها متعلقة بالتمكن والاستمرار أي متمكنا مستمرا على الكبر فهو الأنسب كإظهار ما في الهيئة من الآية حيث لم يكن في أول الكبر».[3]

* وبالنظر في أقوال المفسرين يتبين أنهم ذكروا أن على بمعنى «مع» فإذا كان الغرض هو الدلالة على المصاحبة فلم عدل عن الكلمة الدالة على هذا المعني وإذا كانت على للاستعلاء المجازي إشارة إلى أن الكبر تمكن منه وعلا ظهره فلم عكس النظم ليكون هو مستعليًا على الكبر وذلك لأن الكبر من شأنه أن يمنع من الإنجاب وهو سبب في الظاهر إلا أن شاء الله تعالى أن يخرق ما جرت به العادة دلالةً على عظيم قدرته وتكريمًا لشأن نبي الله إبراهيم وتغيرت بسببه ظواهر العادات مما جعلت سيدنا إبراهيم يلهج

(١) سورة الشعراء الآية ١٤.

(٢) سورة مريم الآية ٤.

(٣) ينظر روح المعاني (٧/ ٢٢٨) .

لسانه ثناءً على الله وشكرًا له فالاستعلاء المجازي هو استعلاء قدره الخالق على الكبر الذي هو مانع قاهر في مجري العادة من حصول الولد فلو قيل مع الكبر لما أوحي بمعني الاستعلاء على الأسباب وقهرها كما يوحي به حرف الاستعلاء.

٢ – ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٦﴾[١].

وذلك أن الاستعلاء في الآية دلالة خفية تتلاشي مع القول بأن على بمعنى «مع» في قوله تعالى: ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾.[٢] وذلك لأن الاستعلاء هنا يجسد العلاقة بين الرحمة والعنف والمغفرة والعقاب ويغلب سوابق الرحمة على موجبات الانتقام ولولا قوله «على ظلمهم» لتساوت رحمة الله مع غضبه وعفوه ومؤاخذ ته ولهلك الإنسان حينئذ بعدل الله بعد أن يتوارى فضله فقوله: «إن ربك لذو مغفرة» يقابله «إن ربك لشديد العقاب» فأين سبق الرحمة وغلبة الرجاء إنه في قوله «على ظلمهم» بما يوحي به حرف الاستعلاء من تغلب المغفرة على الذنوب وقهر العفو للعقاب لذلك قال ابن عباس ليس في القرآن أرجي من هذه الآية»[٣].

وقد ذكر الإمام الشعراوي السر في التعبير بحرف الاستعلاء في هذه الآية فقال: وفي هذا القول يجد بعض العلماء أن الله قد استعمل حرفاً بدلاً

---

(١) سورة الرعد الآية ٦.

(٢) ينظر البرهان ٤/ ٢٨٤.

(٣) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم لمحمد الأمين الخضري، صـ ٧٤, ٧٥.

من حرف آخر؛ فجاءت «على» بدلاً من «مع» .

ونلحظ أن «على» هي ثلاثة حروف؛ و «مع» مكونة من حرفين؛ فلماذا حذف الحق سبحانه الأخفَّ وأتى ب «على» ؟ لابد أن وراء ذلك غاية.

أقول: جاء الحق سبحانه ب «على» في قوله: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ على ظُلْمِهِمْ**﴾[1] ليؤكد لنا أن ظلم الناس كان يقتضي العقوبة؛ ولكن رحمته سبحانه تسيطر على العقوبة، وهكذا أدت كلمة «على» معنى «مع» ، وأضافت لنا أن الحق سبحانه هو المسيطر على العقوبة؛ وأن رحمة الله تَطْغَى على ظلم العباد. وهذا ما دل عليه التعبير بحرف الاستعلاء.

ومِثْل ذلك قوله سبحانه: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ**﴾[2]، أي: أنهم يُحِبون الطعام حَبَّاً جَمَّاً؛ لكن إرادة الحفاوة والكرم تَطْغى على حُبِّ الطعام، ولكن لا يجب أن يظن الناس أن رحمة الله تطغى على عقابه دائماً؛ فلو ظن البعض من المجترئين هذا الظن وتوهموا أنها قضية عامة؛ لَفسد الكون؛ ولذلك يُنهي الحق سبحانه الآية الكريمة بقوله: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العقاب**ْ﴾ أي: أنه سبحانه قادر على العقاب العظيم، وهكذا جمعت الآية بين الرجاء والتخويف.

* والأصل أن "على" على أصل معناها وهو الاستعلاء فهي تدل على أن الله عز وجل أعلي وأعظم بمغفرته للعباد في مقابل ظلمهم لأنفسهم فمهما علا ذنب العبد وكثرت سيئاته فعفو الله ومغفرته أعلي وأعظم فلا ييأس العبد من رحمة الله ولا يقنط من مغفرة الله لأن الله عز وجل يقول: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ**

(١) سورة الرعد الآية ٦.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٢٢٢) . [سورة الإنسان: ٨] .

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

*** السياق القرآني وأثره في تحديد معني حرف الجر "عن ":**

يتضح أثر السياق القرآني في التعبير بحرف الجر «عن» في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(٢).

ففي هذه الآية تباينت وتنوعت أقوال المفسرين عن عدول القرآن عن حرف الابتداء إلى حرف المجاوزة وذلك لأنها تصوير لتنوع أساليب الغواية والإضلال التي يسلكها إبليس لصد وصرف بني آدم عن اتباع منهج ربهم وكان المتوقع أن يقول: «ومن أيمانهم ومن شمائلهم» كما قال «من بين أيديهم ومن خلفهم» وقد ذكر سيبويه: «أن قولك جلس عن يمينه معناه تراخي في جلوسه عن موضع يمينه»(٣).

وهذا يدل على أن معنى: أتاه من يمينه أن مبدأ إتيانه كان من هذه الجهة وأن معني أتاه عن يمينه أي: أتاه منحرفًا عنها أو متجاوزًا لها ويأتي كل حرف في موضعه حسب ما يستدعيه النظم والسياق القرآني ففي قول الله تعالى على لسان الضالين ومن أضلوهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ

(١) سورة الزمر الآية ٥٣.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٦،١٧.

(٣) ينظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٢٧.

﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾[1].

أي أنكم كنتم تأتوننا من ناحية الخير أو الدين فانحرفتم وظلمتمونا عن الهدي فجاءت التعبير بحرف الجر «عن» الدال على المجاوزة ليصور معني التجاوز عن طريق الرشاد والزيغ عن طريق الحق، ولو عبر بحرف الجر "من "فقال تأتوننا من اليمين لما أفاد هذا المعنى.

وقد ذكر هذا المعنى الراغب فقال :" من الناحية التي كان منها الحق وتصرفوننا عنها".[2]

وقد ذكر الإمام الزمخشري سعر التعبير بحرف الجر "عن" في هذه الآية فقال: «فإن قلت: كيف قيل ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ بحرف الابتداء ﴿وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ﴾ بحرف المجاوزة؟ قلت: المفعول فيه عدّى إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا، وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس. وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط، فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى «على يمينه» أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلي عليه. ومعنى «عن يمينه» أنه جلس متجافيًا عن صاحب اليمين منحرفًا عنه غير ملاصق له. ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره»[3].

وعلق الإمام أبو حيان على كلام الإمام الزمخشري فقال: وهو كلام لا

---

(١) سورة الصافات الآية (٢٨)

(٢) ينظر المفردات للراغب ٨٤٩

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٩٣).

بأس به، وأقول: إنما خص بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان لأنهما أغلب ما يجيء العدو منهما فينال فرصته وقدم بين الأيدي على الخلف لأنها الجهة التي تدل على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قرنه غير خائف منه والخلف من جهة غدر ومخاتلة وجهالة القرن بمن يغتاله ويتطلب غرته وغفلته وخص الأيمان والشمائل الحرف الذي يدل على المجاوزة لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك وقدمت الأيمان على الشمائل لأنها الجهة التي هي القوية في ملاقاة العدو، وبالأيمان البطش والدفع فالقرن الذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع والشمائل جهة ليست في القوة والدفع كالأيمان»[1].

يتضح من كلامه أن سر التعبير في الآية يظهر محاولات الشيطان ووسائله المتعددة في الوصول إلى غايته من إغواء بني آدم فمنها ما هو ظاهر يواجه به ضعاف النفوس ومن لا يستطيعون مقاومته ومنها ما هو خفي يلجأ إليه مع الذين اتبعوا منهج الله ورفضوا الانقياد للشيطان وغوايته.

قَالَ الإمام الرازي: إنه قال: من بين أيديهم ومن خلفهم فذكر هاتين الجهتين بكلمة (من) ثم قال: وعن أيمانهم وعن شمائلهم فذكر هاتين الجهتين بكلمة (عن) ولا بد في هذا الفرق من فائدة فنقول: إذا قال القائل جلس عن يمينه معناه أنه جلس متجافيًا عن صاحب اليمين غير ملتصق به قال تعالى: ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ**﴾[2]، فبين أنه حضر على هاتين

(١) ينظر البحر المحيط في التفسير (٥/٢٢، ٢٣) .

(٢) سورة ق الآية ١٧.

الجهتين ملكان ولم يحضر في القدام والخلف ملكان والشيطان يتباعد عن الملك فلهذا المعنى خص اليمين والشمال بكلمة (عن) لأجل أنها تفيد البعد والمباينة وأيضا فقد ذكرنا أن المراد من قوله: من بين أيديهم ومن خلفهم الخيال والوهم والضرر الناشئ منهما هو حصول العقائد الباطلة وذلك هو حصول الكفر وقوله: وعن أيمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والضرر الناشي منهما هو حصول الأعمال الشهوانية والغضبية وذلك هو المعصية ولا شك أن الضرر الحاصل من الكفر لازم لأن عقابه دائم أما الضرر الحاصل من المعصية فسهل لأنه عقابه منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة (عن) تنبيهًا على أن هذين القسمين في اللزوم والاتصال دون الأول"[1].

*** السياق القرآني وأثره في تحديد معني حرف الجر "من":**

ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن "من" تقع مكان "عن" واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**لِإِيلافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[2] أي: عن جوع.

ولعلهم ذكروا هذا القول أخذًا عن إمام النحاة سيبويه عند حديثه عن حرف المجاوزة "عن" وتمثيله لها بقوله "أطعمه عن جوع" وقد تقع من موقعها أيضًا تقول: "أطعمه من جوع وكساه من عري"[3] فأخذوا هذه العبارة وتعلقوا بها على أنها دليلٌ لوقوع "من" موقع "عن"، ولكن المتأمل في كلام إمام

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٤/ ٢١٥) .

(٢) سورة قريش كاملة.

(٣)ينظر : الكتاب ٢٢٦/٤.

النحاة يتبين أنه لم يقصد أن "من" و "عن" سواء من حيث الدلالة والمعني ولكنه أراد أن يبين أن هناك فعل يتعدى بحرف الابتداء وبحرف المجاوزة أيضاً مع أداء كل حرف منهما لمعناه الأصلي الذي لا يؤديه سواه

وقد وضح الفرق بين استعمال حرف المجاوزة وحرف الابتداء من حيث المعني ابن يعيش في شرح المفصل حيث ذكر أن الفرق بين قولك : "أطعمه من جوع وأطعمه عن جوع "أنك إذا جئت ب "من" دلّت على ابتداء الغاية لأن الجوع ابتداء الإطعام وإذا عبرت ب "عن "الدالة على المجاوزة فالمعني: أن الإطعام صرف الجوع لأن "عن "لما عدا الشيء"[١] .

قال الإمام الزمخشري والمعني:" أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم. وقيل: كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة، وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم"[٢] .

وزاد في المعني ابن عطية فقال" مِنْ جُوعٍ" معناه: أن أهل مكة قاطنون بواد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى، وأن جعلها بدعوة إبراهيم تجبى إليها ثمرات كل شيء، وقوله تعالى: "مِنْ خَوْفٍ" أي جعلهم لحرمة البيت مفضلين عند العرب يأمنون والناس خائفون، ولولا فضل الله تعالى في ذلك لكانوا بمدارج المخاوف"[٣].

وقد ذكر الإمام الرازي أن قوله تعالى " من جوع " فيه عدة فوائد منها:

---

(١)ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٨/٤١) .

(٢)ينظر :تفسير الزمخشري (٤/ ٨٠٣) .

(٣)ينظر :المحرر الوجيز (٥/ ٥٢٦) .

* التنبيه على أن أمر الجوع شديد وتذكيرهم الحالة الأولى الرديئة المؤلمة وهي الجوع حتى يعرفوا قدر النعمة الحاضرة والتنبيه على أن خير الطعام ما سد الجوعة، لأنه لم يقل: وأشبعهم لأن الطعام يزيل الجوع، أما الإشباع فإنه يورث البطنة.

* معنى قوله تعالى: "وآمنهم من خوف" ففي تفسيره وجوه منها: أنهم كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضرهم، وكان غيرهم لا يأمنون من الغارة في السفر والحضر وقيل: آمنهم بالإسلام، فقد كانوا في الكفر يتفكرون، فيعلمون أن الدين الذي هم عليه ليس بشيء، إلا أنهم ما كانوا يعرفون الدين الذي يجب على العاقل أن يتمسك به وقيل: أطعمهم من جوع الجهل بطعام الوحي، وآمنهم من خوف الضلال ببيان الهدى.

ثم إطعام الطعام الذي يكون غذاء الجسد يوجب الشكر، فإطعام الطعام الذي هو غذاء الروح، ألا يكون موجبا للشكر!

* وذكر سؤالًا وهو: لِمَ لمْ يقُل: "عن جوع وعن خوف"؟ وأجاب بقوله: لأن معنى "عن "أنه جعل الجوع بعيدًا عنهم، وهذا يقتضي أن يكون ذلك التبعيد مسبوقًا بمقاساة الجوع زمانًا، ثم يصرفه عنه، و "من" لا تقتضي ذلك، بل معناه أنهم عند ما يجوعون يطعمون، وحين ما يخافون يؤمنون.

ثم قال: إنه تعالى إنما أطعمهم وآمنهم إجابة لدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أما في الإطعام فهو قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾[1] وأما الأمان فهو

(١) سورة البقرة الآية ١٢٦.

قوله: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾[1]، وإذا كان كذلك كان ذلك منة على إبراهيم عليه السلام، فكيف جعله منة على أولئك الحاضرين؟ والجواب: أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال إبراهيم عليه السلام: ومن ذريتي فقال الله تعالى: ﴿لَا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾[2] فنادى إبراهيم بهذا الأدب، فحين قال: رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات قيده بقوله: من آمن منهم بالله فقال الله: لا حاجة إلى هذا التقيد، بل ومن كفر فأمتعه قليلًا، فكأنه تعالى قال: أما نعمة الأمان فهي دينية فلا تحصل إلا لمن كان تقيًا، وأما نعمة الدنيا فهي تصل إلى البر والفاجر والصالح والطالح، وإن كان كذلك كان إطعام الكافر من الجوع، وأمانه من الخوف إنعامًا من الله ابتداء عليه لا بدعوة إبراهيم"[3].

وبعد ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية لابد من البحث عن سر التعبير بحرف الابتداء "من" دون حرف المجاوزة "عن" ولعل ذلك يرجع إلى:-

* السياق القرآني لهذه الآيات حيث وردت في مقام التفضل والإنعام بأعظم النعم وأجلّها من الله عز وجل على أهل مكة حيث إنه أطعمهم من جوعٍ وأفاض عليهم من رزقه بينما الناس حولهم قد أصابهم الجدب والقحط فهم إذا جاعوا أطعمهم الله عز وجل في الحال.

* ومن تمام الإنعام أن يكون الإطعام قبل أن يصيبهم الجوع ويظهر آثاره عليهم وعلي أنعامهم وهذا ما تفيده "من" الابتدائية التي تدلُّ على أن

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٣)ينظر : تفسير الرازي (٣٢/ ٢٩٨ – ٣٠٠) .

الإطعام كان من بداية الجوع ومنشئه لا بعد أن استبد بهم وأحاط بهم وبدوابهم. وهذا مالا يؤديه حرف المجاوزة "عن" فالقول بنيابة حرف الجر "عن" عن حرف الابتداء "من" يخرج الآية عن المراد من السياق القرآني.

* ومن هذه النعم أيضاً أن الله عز وجل تفضل عليهم بنعمة الأمن بينما الناس من حولهم خائفون والسبب في ذلك أيضاً أن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد دعا لأهل مكة بأن يرزقهم الله من كل الثمرات كما دعا لهم بنعمة الأمن فجاءت هذه النعم تفضلًا من الله عليهم ابتداء وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام فينبغي لأهل مكة أن يشكروا هذه النعم ويعبدوا الله الواحد الأحد لأنه تفضل بهذه النعم عليهم دون سواهم .

*** السياق القرآني وأثره في تحديد معنى حرف الجر الكاف:**

لحرف الجر "الكاف" أثر في السياق القرآني من خلال التعبير به دون سائر حروف التشبيه وقد ضرب الله المثل في القرآن الكريم بالأشياء المحسوسة التي يألفها الإنسان وتدركها الأذهان لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ، وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب.

وذلك من خلال تصوير القرآن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ**

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[1].

ذكر المفسرون عدة معان لهذه الآية وضحت أثر دلالة حرف الجر "الكاف" في السياق القرآني، ومنها ما يلي:-

قال الإمام الزمخشري: "والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد. وقيل: كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميده والاستغفار والتوبة والدعوة وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار، كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمّان وغير ذلك"[2].ثم قال عن الشجرة الخبيثة: "الكلمة الخبيثة مثلها كمثل الشجرة الخبيثة صفتها كصفتها. والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك. وقيل: كل كلمة قبيحة. وأمّا الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل ونحو ذلك. وقوله: (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) في مقابلة قوله أَصْلُها ثابِتٌ ومعنى اجْتُثَّتْ استؤصلت. وحقيقة الاجتثاث وقيل: "الكلمة الطيبة هي كلمة الإسلام وهي شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله"[3].

* ذكر الإمام الرازي أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة أوصاف هذه الشجرة :" اعلم أنه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة بها. **فالصفة الأولى** لتلك الشجرة كونها طيبة، وذلك يحتمل أمورًا: **أحدها:** كونها طيبة المنظر والصورة والشكل. **وثانيها:** كونها طيبة الرائحة. **وثالثها:** كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابه، **ورابعها:** كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٤.

(٢)ينظر :تفسير الزمخشري (٢/ ٥٥٣) .

(٣)ينظر :التحرير والتنوير (١٣/ ٢٢٤) .

فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: شجرة طيبة، على مجموع هذه الوجوه لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب، **والصفة الثانية:** قوله: أصلها ثابت أي: راسخ باق آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، أما إذا علم من حاله أنه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به.

والصفة الثالثة: قوله: ﴿**وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين: الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق. والثاني: أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت ثمراتها نقية ظاهرة طيبة عن جميع الشوائب.

والصفة الرابعة: قوله: ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾، والمراد: أن الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضرًا في بعض الأوقات دون بعض، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة لأنها شجرة شريفة، وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنها وأن يتساهل في الفوز بها وأن يسعى في تحصيلها وتملكها لنفسه، سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن، لأن هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل. وذكر أن معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته، تشبه هذه الشجرة في

هذه الصفات الأربع"[1].

ثم ذكر في تفسير الشجرة الخبيثة بأنها الجهل بمراد الله فقال: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾ أن الشجرة الخبيثة هي: الجهل بالله، فإنه أول الآفات وعنوان المخافات ورأس الشقاوات " ثم ذكر أوصافها فقال: "أنه تعالى شبهها بشجرة موصوفة بصفات ثلاثة: الصفة الأولى: أنها تكون خبيثة فمنهم من قال إنها الثوم، لأنه صلى الله عليه وسلم وصف الثوم بأنها شجرة خبيثة، أو الكراث أو الحنظل لكثرة ما فيها من المضار وقيل: إنها شجرة الشوك. و هذا التفصيل لا حاجة إليه، فإن الشجرة قد تكون خبيثة بحسب الرائحة وقد تكون بحسب الطعم، وقد تكون بحسب الصورة والمنظر وقد تكون بحسب اشتمالها على المضار الكثيرة والشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وإن لم تكن موجودة، إلا أنها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعا في المطلوب.

والصفة الثانية: قوله: ﴿**اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ**﴾ وهذه الصفة في مقابلة قوله: أَصلُها ثَابِتٌ ومعنى اجتثت: استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها، وقوله: من فوق الأرض معناه: ليس لها أصل ولا عرق، فكذلك الشرك بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات ولا قوة.

والصفة الثالثة: قوله: ﴿**مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾، وهذه الصفة كالمتممة للصفة الثانية، والمعنى أنه ليس لها استقرار يقال: قر الشيء قرارا كقولك: ثبت ثباتًا، شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت.

---

(١)ينظر :تفسير الرازي (١٩/ ٩٠) .

* ثم قال :"واعلم أن هذا المثال في صفة الكلمة الخبيثة في غاية الكمال، وذلك لأنه تعالى بين كونها موصوفة بالمضار الكثيرة، وخالية عن كل المنافع أما كونها موصوفة بالمضار فإليه الإشارة بقوله: "خبيثة" وأما كونها خالية عن كل المنافع فإليه الإشارة بقوله: "اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار"[1].

* ويتضح سر التعبير بالكاف في هذه الآية :"أنه سبحانه وتعالي شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع. وهذا ظاهر على أن الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله. فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة. فكل عمل صالح مرضٍ لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وعن ابن عباس قال: كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلا الله. كشجرة طيبة: وهو المؤمن. أصلها ثابت قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن وَفَرْعُها فِي السَّماءِ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

وقال الربيع بن أنس: كلمة طيبة: هذا مثل الإيمان. فإن الإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه. وفرعها في السماء: خشية الله. والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

* والمتأمل في هذا التشبيه يراه مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء. ولا تزال

(١)ينظر :تفسير الرازي (١٩/ ٩٢) .

هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها. فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها. فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا ،كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلًا. فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت. فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلمًا كثيرًا طيبًا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[1]، والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا، ومتصفًا بموجبها، قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته. فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه. وفروعها متصلة بالسماء. وهي مخرجة ثمرتها كل وقت.

ومن السلف من قال: إن الشجرة الطيبة هي النخلة. ومنهم من قال: هي المؤمن نفسه. الشجرة الطيبة: المؤمن، ويعني بالأصل الثابت في الأرض،

(١) سورة فاطر الآية (١٠) .

والفرع في السماء: بكون المؤمن يعمل في الأرض ويتكلم، فيبلغ عمله وقوله السماء. وهو في الأرض.

والمقصود بالمثل: المؤمن، والنخلة مشبهة به، وهو مشبه بها. وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك. ومن قال من السلف: إنها شجرة في الجنة. فالنخلة من أشرف أشجار الجنة. وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به، ويقتضيه علم الرب الذي تكلم به، وحكمته سبحانه. فمن ذلك: أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر.

فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه له. فعروقها: العلم والمعرفة، واليقين وساقها: الإخلاص، وفروعها: الأعمال وثمرتها: ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة، والصفات الممدوحة، والأخلاق الزكية، والسّمت الصالح والهدى والدّلّ المرضي. فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور.

فإذا كان العلم صحيحًا مطابقًا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدى والدّل والسّمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة، التي اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار. ومنها: أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها. فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس. فهكذا شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم

النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس. وبالجملة: فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك" .

ما يستفاد من هذه الآية:-

* شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، ومن عظيم رحمته، وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده أن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

* أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغل ونبت غريب، ليس من جنسه. فإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه كمل الغرس والزرع، واستوى وتم نباته، وكان أوفر لثمرته وأطيب، وأذكى. وإن تركه أوشك أن يغلب على الغراس والزرع، ويكون الحكم له أو يضعف الأصل ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته. ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة به، فإنه يفوته ربح كبير. وهو لا يشعر.

* المؤمن دائما سعيه في شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم ،فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم[1].

* **قال الإمام أبو زهرة:** "الشجرة هي المشبه به، وقد وصفها سبحانه بأنها طيبة، وطيبها في أنها ثابتة الأصل، وبأنها مرتفعة، وبأنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. هذا هو المشبه به، فأما المشبه: هي الكلمة الطيبة،

(١) ينظر تفسير القرآن الكريم لابن القيم بتصرف صـ ٣٤٤.

والكلمة الطيبة فيها عناصر الطيبة التي ذكرت في الشجرة، فهي كلمة النفس والقلب والعقل، تنبع من القلب والعقل فقال بإخلاص لله تعالى، وهو الحق، وإنها إذ تقال تعلو بصاحبها عن سفساف الأمور، وتتجه به إلى معاليها، فهي ترفع صاحبها ولا تهوى، وهي هادية مرشدة ممتدة النفع تؤتي ثمراتها كل حين، والكلمة الطيبة تبقى ببقاء الأنفس المتبصرة المدركة، فالكلمة حياة تحيي النفوس والأفئدة .وما الكلمة التي تتحقق فيها هذه المعاني؟ قيل: إنها كلمة التوحيد، وقيل: إنها الإيمان، والحق، أنها الكلمة التي تكون صادقة في ذاتها ومنبعثة من النفس لإرضاء الله تعالى، والذود عن محارمه وتتحقق فيها النية الطيبة، والقول الطيب، كما قال تعالى: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾[1]، هذا مثل الكلمة الطيبة وهي كلمة الحق الجامعة لكل معاني الخير والطيب، والكمال والجمال، أما الكلمة الخبيثة فقد قال تعالى في مثلها: لكلمة الخبيثة هي الكلمة التي تنبعث من خبث النفس، وضلال الفكر، وتكون في باعثها أئمة، وفي غايتها أئمة فهي على نقيض الكلمة الطيبة، لأنها لَا تنبعث من إخلاص لله ولرسوله، ولا تكون طيبة في واقعها، ولا في نتائجها، وما يترتب عليها، وأوضحها الكذب، روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[2].

---

(١) سورة الحج الآية ٢٤.

(٢) مسند أحمد مخرجًا (٦/ ١٤٧) حديث رقم ٣٦٣٨.

والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة التي لا فائدة منها ﴿**اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ**﴾، أي أنها ليس لها جذوع ممتدة في باطن الأرض، بل هي على سطحها، ومعنى ﴿**اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ**﴾ أي ظهرت جثتها من فوق الأرض فليس لها جذور تمتد فيها كبعض أنواع النباتات التي ليس لها جذور تغوص في عروق الأرض، ﴿**مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾، أي استقرار وثبات في باطن الأرض، والمؤدى من هذا التشبيه أن الكلمة الخبيثة لَا تعيش في الوجود، وليس لها بقاء فيه، بل إنها تنتهي بانتهاء زمانها وتنْزل من الأضرار بمقدار وقتها، كالسعاية والنميمة والكذب والخديعة والغيبة، وليس لها وجود إلا بمقدار زمانها وقد تضر، لكن عاقبتها وخيمة، ولا تبقى إلا الكلمة الطيبة، وما يكون لله وللحق وحده"[1].

(١) ينظر زهرة التفاسير ٨/ ٤٠٢٢.

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في تحديد المعاني التفسيرية والأحكام الفقهية المترتبة على معني حرف الجر "إلى"

إلى: حرف جر مبني على السكون يجر الظاهر والمضمر، ومعناها انتهاء الغاية الزمنية والمكانية وهو أصل معانيها وأكثر المعاني استعمالًا وشيوعًا، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(١).(٢) و انتهاء الغاية المكانية كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣).

أولاً: إذا كان المعني الأصلي لـ "إلى" هو انتهاء الغاية كما ذكر علماء اللغة فهل يدخل ما بعد "إلى" في حكم ما قبله؟

* ذكر العلماء في هذه المسألة أربعة أقوال هي :

القول الأول: أنه لا يدخل مطلقًا.

وهو ما رجحه ابن هشام في المغني وعلل ترجيحه بأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول فيجب الحمل عليه عند التردد(٤).

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧.

(٢) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٠٤) الجنى الداني للمرادي ص ٣٨٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ١.

(٤) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج (١/ ٤١١) ، والجنى الداني للمرادي (١/ ٣٨٥) ، ومغني اللبيب لابن هشام (١/ ٩٦) ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك (٢/ ٥٩) .

ونقل السبكي أن "إلى" إذا اقترنت بـ "من" لم تدخل وإلا فيحتمل[١]. وهذا معنى كلام من يقول: سرت من البصرة إلى الكوفة، فالكوفة منقطع السير لما كانت البصرة مبتدأ[٢].

القول الثاني: يدخل مطلقًا.

جاء في شرح المفصل: «"إلى" لانتهاء الغاية ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾[٥]، فالثمر غاية للنظر، والأب غاية للرجوع، والله تعالى غاية لصعود الكلم ينتهي عنده»[٦].

وقال السبكي: «إذا لم تكن قرينة تدل على دخول ما بعدها ولا على خروجه تدخل مطلقًا، ويجوز دخولهما فيه مع القرينة»[٧].

القول الثالث: إذا دلت قرينة على دخول ما بعدها فيما قبلها أو خروجه صير إليها.

---

(١)ينظر :الأشباه والنظائر للسبكي ٢/ ٢٠٤.

(٢)ينظر :كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ٢/ ٧٧.

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(٤) سورة يوسف الآية ٦٣.

(٥) سورة فاطر الآية ١٠.

(٦) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، ٤/ ٤٥٤.

(٧)ينظر : الأشباه والنظائر للسبكي ٢٠/ ٢٠٤.

قال الرضي: «والأكثر عدم دخول حدي الابتداء والانتهاء في المحدود. فإذا قلت: اشتريت من هذا الموضع إلى هذا الموضع، فالموضعان لا يدخلان ظاهرًا في الشراء، ويجوز دخولهما فيه مع القرينة»[١].

وجاء في المغني: «وإذا دلت قرينة على دخول ما يعدها نحو: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، أو خروجه نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[٢]، ونحو قوله سبحانه: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾[٣]»[٤].

القول الرابع: إذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها كان داخلًا وإلا فلا[٥].

وذهب المرادي إلى هذا الرأي عند عدم القرينة[٦].

ومعنى قولهم السابق: أي إذا كانت جزءًا من المُغيَّا تدخل، وقد يعبر عن هذا بأنها إذا كانت بيانًا لما قبلها دخل طرفاها، لذا يفرق بين: اشتريت الفدان إلى الدار، فإن الدار لا تدخل في المحدود، إذ ليست من جنسه، فشرط تعالى تمام الصوم حتى يتبين الليل، وجوَّز الأكل حتى يتبين

(١)ينظر :شرح الرضي للكافية ٦/ ١٤.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٨٠.

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة ١/ ٩٦، والأشباه والنظائر للسبكي ٢/ ٢٠٤، والنحو الوافي ٢/ ٤٣١.

(٥) ينظر: الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣١.

(٦)ينظر : الجنى الداني للمرادي ١/ ٣٨٥.

النهار»[1].

والأظهر من هذه الأقوال: أن ما بعد "إلى" داخل فيما قبلها إذا دلت قرينة على ذلك؛ لأن الدخول مطلقًا مردود بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[2]، فالليل غير داخل في حكم ما قبله قطعًا، وعدم الدخول مطلقًا مردود كذلك بقوله سبحانه: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾[3]، فإن ما بعد إلى داخل في حكم ما قبلها وهو الإسراء.

أما القول الرابع فلا يخلو من الصواب؛ لقوة أدلته وصواب حجته وله حظ وافر من النظر الصحيح والحجة القوية .

(١) ينظر: تفسير القرطبي ٢/ ٣٢٧، والأشباه والنظائر للسبكي ٢/ ٢٠٤، والبحر المحيط في أصول الفقه ٤/ ٤٦٣.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٣) سورة الإسراء الآية ١.

ثانيًا: لتوضيح ذلك لابد من ذكر بعض الآيات القرآنية التي تدل على دخول ما بعد "إلى" فيما قبلها وهي كما يلي:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[1].

أولًا: أقوال المفسرين في الآية الكريمة:

اجتمع جُلُّ المفسرين على أن المراد من الآية تحديد وقت الصوم[2].

والذي جعل المفسرين يقولون هذا القول، مجيء حرف الجر "إلى"، فذهبوا إلى أن الشيء إذا حد إلى جنسه دخل في الغاية وإلا فلا، وبما أن الليل ليس من جنس النهار فإنه لا يأخذ حكم ما قبله[3].

ويترتب على هذا القول أحكامٌ فقهيةٌ عديدةٌ، منها ما يلي:

* إباحة الأكل والشرب وسائر المفطرات بدخول أول الليل إلى طلوع النهار[4].

* حرمة الصوم بالليل كما يحرم الفطر بالنهار من غير عذر في أيام

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٣/ ٢٦٣، والكشف والبيان للثعلبي ٢/ ٨١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ١/ ١٨٩، وتفسير البغوي ٢/ ٢٢، والمحرر الوجيز ١/ ٢٥٩، وأحكام القرآن للخازن ٢/ ٣٢٧، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٢١٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣٢٧، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ١/ ١١٨.

الصوم.

* حرمة الوصال في الصوم، فمن واصل الإمساك عن المفطرات في الليل فلا ثواب له؛ لأنه لم يقع في الوقت الذي رسمه الشارع لعبادة الصوم، وفي هذا مخالفة لظاهر القرآن والتشبه بأهل الكتاب(١).

في حين رد الإمام أبو حيان الاستدلال بهذه الآية على نفي الوصال في الصوم، فقال: «وأما الدلالة على نفي صوم الوصال فليس بظاهر؛ لأنه غيا وجوب إتمام الصوم بدخول الليل فقط، ولا منافاة بين هذا وبين الوصال»(٢).

لكن هذا الاعتراض لا يسلم من النقد فإذا لم يكن في النص نهي عن الوصال في الصوم، فما الغاية من تحديد وقته بأول الليل، وهذا سر مجيء حرف الجر "إلى" وعدم دخول ما بعده في حكم ما قبله، ومما يزيد هذا الرأي قوة ما جاء في الصحيحين: «أن النبي ﷺ واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم، قالوا: إنك تواصل، قال: لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأُسقى»(٣).

* ضرورة التحقق من انقضاء النهار بدخول جزء من الليل(٤).

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ١/ ١٢٦، والبحر المحيط ٢/ ٢١٨، وتفسير الشعراوي ٥/ ٢٩٥١، والتفسير المنير للزحيلي ٢/ ١٥٩.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط ٢/ ٢١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب، حديث رقم (١٩٢٢) ، ٣/ ٢٩، وأيضًا في كتاب الصوم، باب النهي عن الوصال في الصوم، حديث رقم (١١٠٢) ، ٢/ ٧٧٤.

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط ٢/ ٢١٨.

* وقت الإفطار عند غروب الشمس حكمًا وشرعًا، فعند إقبال الليل من المشرق وإدبار النهار من المغرب يفطر الصائم[١]؛ لقوله ﷺ: «إذا رأيتم الليل أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم»[٢].

* تمديد وقت ابتداء الليل بغروب قرص الشمس وما يلازمه من شعاعها عن جدران البيوت والمآذن[٣].

* الأفضل المبادرة إلى الفطر لقوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[٤]، ولما جاء في الحديث الشريف: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٥].

* الصيام الشرعي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[٦]، فقد جاء تطبيق ذلك في السنة النبوية الشريفة، قال عبد الله بن أبي أوفى ﷺ: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم فلما غربت الشمس قال لبعض القوم: يا فلان قم فاجدح لنا. فقال: يا رسول الله لو أمسيت. قال: انزل فاجدح لنا. قال: يا رسول الله فلو أمسيت. قال: انزل فاجدح لنا. قال: إن عليك نهارًا.

---

(١) ينظر: تفسير الرغب الأصفهاني ١/ ٣٩٩، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، حديث رقم (١٩١٤) ، وأيضًا: كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم، ٣/ ٣٦، حديث رقم (١٩٥٥) .

(٣)ينظر :تفسير المنار ٢/ ١٤٣، وتفسير المراغي ٢/ ٧٩.

(٤) ينظر: تفسير العثيمين لسورتي الفاتحة والبقرة ٢/ ٣٥٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار، ٣/ ٣٦، حديث رقم (١٩٥٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٦) ينظر: تفسير العثيمين لسورتي الفاتحة والبقرة ٢/ ٣٥٧.

قال: انزل فاجدح لنا فنزل فجدح لهم فشرب النبي ﷺ ثم قال: إذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم»[١].

ثانيًا: أقوال الفقهاء:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن ما بعد "إلى" إذا كان من جنس ما قبلها فإنه يدخل فهيه وإلا فلا.

فالغاية إن كانت متميزة عن ذي الغاية بمفصل حسي كما في الليل والنهار وجب خروجهما، وإن لم تكن متميزة عنها بمفصل حسي كما في اليد والمرفق وجب دخولهما، واستدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[٢]، فلما كان الليل خارجًا عن جنس النهار وجب عدم دخوله في حكمه[٣].

واستدل صاحب شرح مختصر الروضة على عدم وجوب الصوم بعد مجيء الليل بأن "إلى" و "حتى" موضوعتان للغاية في اللغة وغاية الشيء منتهاه، فإذا انتهى لم يكن بعده إلا حده، وإلا لم يكن منقطعًا وحد وجوب الصوم عدم وجوبه[٤].

ومن هنا أجمع فقهاء المذاهب على أن الوقت الذي يحرم فيه الطعام

(١) ينظر: تفسير المنار ٢/ ١٤٣، وتفسير المراغي ٢/ ٧٩.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٣) ينظر: النتف في الفتاوى للسعدي ١/ ١٧، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد ١/ ٢٣، والمحصول للرازي ١/ ٣٨٧.

(٤) ينظر: شرح مختصر الروضة للطوفي ٢/ ٧٥٩.

والشراب على الصائم حين يتبين الفجر إلى أول جزء من أجزاء الليل أخذًا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[1]، فـ "إلى" للغاية وما بعد الغاية يخالف ما قبله.

والقاعدة في الأصول تنص على: أن ما بعد الغاية مخالف لما قبلها في الحكم، فالغاية في الآية هي الليل، وهي ليست من جنس المغيا، وهو النهار المأمور بصومه فلم يدخل الليل الذي هو الغاية في المُغيا؛ لأنها ليست من جنسه[2].

وبهذا يظهر أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "إلى" ودلالته على تحديد وقت انتهاء عبادة الصوم وعدم التباسه بغيره من الأوقات، وذلك أخذًا من المعنى الأساسي والمشهور للحرف "إلى"، وهو انتهاء الغاية، ومن خلال تطبيق القاعدة النحوية في حكم ما بعد "إلى".

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾[3].

أولاً: أقوال المفسرين:-

ذكر المفسرون أن مراد الله تعالي في الآية أن هذا المدين إذا كان معسراً فعليكم أن تنظروه حتي يوسر، فيصير من أهل اليسر به .ولكن

(١) ينظر: الأم للشافعي ٢/ ١٠٥، والحاوي الكبير للماوردي ١٥/ ٣٧٢.
(٢) ينظر :شرح زاد المستنقع ١/ ١٦٢.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٠.

الإمام أبي حيان قال: "لِأَنَّ الْإِنْظَارَ لِلْمُعْسِرِ وَاجِبٌ عَلَى رَبِّ الدَيْنِ"(١)، أي: أن الواجب على صاحب الدين أن ينظر المدين إلى ميسرة منه ".

والراجح عند المفسرين أن "إلى" تفيد معني الغاية مطلقًا، فأما دخول ما بعدها في الحكم وخروجه، فأمر يدور مع الدليل فلا يوجد فيه دليل على الخروج لأن الإعسار علة الإنذار وبوجود الميسرة تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظراً في كلتا الحالتين معسراً و موسراً .

قال الإمام البيضاوي: "إلى" تفيد الغاية مطلقاً وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية، وكانت الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطاً. وقيل إلى من حيث أنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا لم تكن غاية لقوله تعالى: ﴿**فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ لكن لما لم تتميز الغاية ها هنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطا"(٢).

ثانياً: أقوال الفقهاء :-

من خلال تتبع أقوال الفقهاء في مسألة إنظار المعسر، تبين أنهم يرجحون في مختلف حالات الإعسار في أداء الدين و ونفقات الإنظار كحالة يصعب معها أداء الحقوق ويقفون عند هذا الحد ولا يتجاوزونه إلى حالة الإيسار، كما في حالة النفقة الزوجية في قوله تعالى: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ**

(١)ينظر :البحر المحيط في التفسير ٢/ ٧١٩ .

(٢) ينظر تفسير البيضاوي ٢/ ١١٦.

سَعَتِهِۦ﴾[1].

حيث إنهم يجعلون هذه الآية قاعدة فقهية يرجعون إليها في مثل هذه الحالات لينفق أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما إذا كان موسعًا عليه. ومن كان فقيرًا فعلى قدر ذلك. فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى حياة العادة، فينظر المفتي إلى قدر حاجة المنفق، عليه ثم ينظر إلى حالة المنفق، فإن احتملت الحالة أمضاها عليه، فإن اقتصرت حالته على حاجة المنفق عليه ردها إلى قدر احتماله. وقال الإمام الشافعي ﷺ وأصحابه: النفقة مقدرة محددة، ولا اجتهاد لحاكم ولا لمفت فيها. وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره وعسره، ولا يعتبر بحالها وكفايتها. قالوا: فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس. فإن كان الزوج موسرا لزمه مدان، وإن كان متوسطا فمد ونصف، وإن كان معسرا فمد. واستدلوا بقوله تعالى: لينفق ذو سعة من سعته الآية. فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر دونها، ولأن الاعتبار بكفايتها لا سبيل إلى علمه للحاكم ولا لغيره، فيؤدي إلى الخصومة، لأن الزوج يدعي أنها تلتمس فوق كفايتها، وهي تزعم أن الذي تطلب تطلبه قدر كفايتها، فجعلناها مقدرة قطعا للخصومة. والأصل في هذا عندهم قوله تعالى: لينفق ذو سعة من سعته- كما ذكرنا- وقوله: على الموسع قدره وعلى المقتر قدره"[2]، والجواب أن هذه الآية لا تعطي أكثر من فرق بين نفقة الغني والفقير، وإنها تختلف بعسر الزوج

(١) سورة الطلاق الآية ٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٦.

ويسره"[1]، وهَذَا يُفِيدُ أَنَّ النَّفَقَةَ لَيْسَتْ مُقَدَّرَةً شَرْعًا، وَإِنَّمَا تَتَقَدَّرُ عَادَةً بِحَسَبِ الْحَالَةِ مِنْ الْمُنْفِقِ وَالْحَالَةُ مِنْ الْمُنْفَقِ عَلَيْهِ، فَتُقَدَّرُ بِالِاجْتِهَادِ عَلَى مَجْرَى الْعَادَةِ. و يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّفَقَةَ تُفْرَضُ على عَلَى قِدْرِ إمْكَانِهِ وَسَعَتِهِ، وَأَنَّ نَفَقَةَ الْمُعْسِرِ أَقَلُّ مِنْ نَفَقَةِ الْمُوسِرِ.

من خلال ذلك نلاحظ أن الفقهاء بنوا أحكاماً كثيرة بحق المفلس والمدين لعلهم استقوها ووضحت لهم من خلال معني حرف الجر "إلى" الذي هو لانتهاء الغاية وأن ما بعد "إلى" داخل فيما قبلها إذا دلت قرينة والسياق القرآني على ذلك.

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[2].

اتفقت آراء المفسرين والفقهاء على أن غسل اليدين والرجلين في الوضوء ركن من أركان الوضوء وعمل واجب، فمن لم يغسلهما كان وضوؤه باطلًا وغير صحيح، واستدل على ذلك من القرآن الكريم بالآية سالفة الذكر، ومن السنة المشرفة بالحديث الذي رواه الإمام البخاري عَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوَضُوءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ،

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٢٨٩، الأم للشافعي ٢٠٦/٣, المغني لابن قدامة ٣٣٧/٤ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦.

فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاَثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلاَثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١).

* لكن الخلاف الذي حصل بينهم في حكم المرفقين(٢) والكعبين(٣)، وهل يدخلان في الغسل أو لا يدخلان؟ ولعل السبب في وقوع هذا الخلاف هو مجيء حرف الجر "إلى" والذي أحال المسألة إلى خلافية لاختلاف وجهات النظر وتعدد الآراء حول المعنى الذي يفيده حرف الجر "إلى" ودخول ما بعده في حكم ما قبله.

أولًا: أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

القول الأول: ذهب جُل المفسرين إلى أن المرفقين والكعبين يدخلان في الغسل، وسبب قولهم هذا أن حرف الجر "إلى" حد، فإذا كان الحد من جنس

(١) ينظر: صحيح البخاري ١/ ٤٤، ح رقم (١٦٤) ، كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء، ١/ ٢٠٤، ح رقم (٢٢٦) ، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله.

(٢) المرفق: أصله من الرفق، وهو لين الجانب، والمرفق من الإنسان والدابة: موصل الذراع في العضد، والمرفق للإنسان؛ لأنه يستريح في الاتكاء عليه. ينظر: معجم العين للخليل بن أحمد ٥/ ١٤٩، وجمهرة اللغة ٢/ ٧٨٤، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤١٨.

(٣) الكعب: هو عظم طرف الساق، وهو ما أشرف فوق الساق عند القدم، يقال: رجل على الكعب، يوصف بالشرف والظفر. ينظر: معجم العين للخليل بن أحمد ١/ ٢٠٧، ولسان العرب لابن منظور ١/ ٧١٨، فصل الكاف.

المحدود دخل فيه وإلا فلا، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[1].

فلما لم يكن الليل من جنس النهار لم يأخذ حكم ما قبله إذ لو دخل الليل لوجب الوصال[2].

فقالوا: إن المرفقين والكعبين جزء من الأيدي[3]، والأرجل، ولذلك يترجح دخولهما في الغسل.

– وذهب فريق أو جمع آخر من المفسرين إلى دخول المرفقين والكعبين في الغسل على أساس أن "إلى" هنا بمعنى "مع".

واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾[4]، أي: مع أموالكم، فيكون غسل اليدين مع المرفقين والرجلين مع الكعبين[5].

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٢) ينظر: تفسير الكشاف ١/ ٦١٠، والمحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ١٦١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٨، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٦/ ١٣٠.

(٣) اليد: عبارة عن ما بين بين المنكب والظفر، وهي ذات أجزاء وأسماء منها المنكب والكف والأصابع وهي محل البطش، والتصرف العام في المنافع. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٧.

(٤) سورة النساء من الآية ٢.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٥٢١، والدر المصون للسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق ٤/ ٢٠٨، وتفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ٣/ ٤٩.

وقد خالف الإمام القرطبي وابن العربي هذا الرأي، فإن ابن العربي يرفض القول بوقوع التناوب بين الحروف، فلكل حرف معنى خاص به، فيكون التأويل في معنى الأفعال لا الحروف(١).

وقيل: إن هذا التأويل غير جيد ولا يُحتاج إليه، فالمرفق داخل تحت اسم اليد، فلما ذكر "إلى" اقتطع من حد المرافق من الغسل وبقيت المرافق مغسولة إلى الظفر(٢).

القول الثاني: قالت طائفة من المفسرين بدخول المرفقين والكعبين في الغسل من باب الاحتياط، فاسم اليد يتناولها إلى المنكب، فقال: ﴿ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ لنفي الزيادة على المرفق فيبقى المرفق داخلًا في مسمى اليد المطلقة، وأسقط ما بين المنكب والمرفق، فالمرفقين وكذلك الكعبين حد للساقط لا حد للمفروض.

ودليل هذا الفريق من المفسرين: أن "إلى" تبقى على بابها من إفادتها لانتهاء الغاية، فما بعدها لا يدخل في ما قبلها(٣).

---

(١) ينظر :أحكام القرآن لابن العربي، ٢/ ٥٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ١٥٣، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٧٠، وتفسير القرطبي ٦/ ٨١.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٤٥٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ١١٦، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٤٣، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٢١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٨، وشرح عمدة الفقه ١/ ١٨٦.

ثانيًا: أقوال الفقهاء في هذه الآية الكريمة:

اختلفت أقوال الفقهاء – بناءً على اختلافهم في معنى حرف الجر "إلى" – على قولين:

القول الأول: أنهما داخلان في الغسل.

وهو مذهب الجمهور من الفقهاء، ونقل ابن قدامة هذا القول عن أكثر العلماء، منهم: عطاء ومالك والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي(١).

قال الإمام الشافعي: «فلم أعلم مخالفًا في أن المرافق مما يُغسل كأنهم ذهبوا إلى أن معناها فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى أن تغسل المرافق»(٢).

ورجح ابن رشد دخول ما بعد "إلى" في حكم ما قبلها بدليل حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم(٣)، فقد استشهد به ابن رشد قائلًا: هو حجة في ذلك؛ لأنه إذا تردد اللفظ بين معنيين على السواء وجب أن لا يصار إلى أحد المعنيين إلا بدليل، وإن كانت "إلى" في كلام العرب أظهر في معنى الغاية

(١) ينظر: المغني لابن قدامة ١/ ٩٠، والمجموع للنووي ١/ ٣٨٥، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي ١/ ١٨٨.

(٢) ينظر: الأم للشافعي ١/ ٤٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل، حديث رقم (٢٤٦٩) ، ١/ ٢١٦، ونص الحديث في صحيح مسلم: «عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُجْمِرِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ "، ثُمَّ قَالَ: " هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ» .

منها في معنى "مع"[١].

القول الثاني: أنهما لا يدخلان في الغسل ولا يجب غسلهما.

وهو مذهب مالك في رواية عنه، وزفر وأبي بكر بن داود وابن حزم الظاهري. يقول ابن حزم: «إن "إلى" في لغة العرب تقع على معنيين، تكون بمعنى الغاية، وتكون بمعنى "مع"، فلما كانت تقع "إلى" على هذين المعنيين وقوعًا صحيحًا مستويًا، لم يجز أن يقتصر بها على أحدهما دون الآخر، فيكون ذلك تخصيصًا لما تقع عليه بلا برهان، فوجب أن يجزئ غسل الذراعين إلى أول المرفقين بأحد المعنيين، فيجزئ، فإن غسل المرافق فلا بأس أيضًا»[٢].

ونقل ابن حجر عن الشافعي رده لرأي زفر وكل من قال بقوله من أهل الظاهر بالإجماع وعدم ثبوت ذلك عن مالك صريحًا، وإنما حكى عنه أشهب كلامًا محتملًا[٣].

وذكر ابن قدامة حجة أصحاب هذا القول بأن الله ﷻ أمر بالغسل إليهما وجعلهما غاية بحرف "إلى" وهو لانتهاء الغاية فلا يدخل في المذكور[٤].

* **الترجيح**: يظهر لي – والله أعلم – أن قول الجمهور أرجح من جهة الدليل سواء أكان لغويًا أم شرعيًا، وذلك لأسباب:

---

(١) ينظر: بداية المجتهد لابن رشد ١/ ١٨، وبدائع الصنائع للكاساني ١/ ٤، ونيل الأوطار للشوكاني، صـ ١٩٤.

(٢) ينظر: المحلى بالآثار لابن حزم ١/ ٢٩٧.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١/ ٢٩٢.

(٤)ينظر :المغني لابن قدامة ١/ ٩٠.

الأول: إن لفظ ﴿ وَأَيۡدِيَكُمۡ ﴾ يقتضي بمطلقه من الظفر إلى المنكب، فلما قال الله ﷻ: ﴿ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ أسقط ما بين المنكب والمرفق، وبقيت المرافق مغسولة إلى الظفر، وهذا كلام صحيح يجري على الأصول لغةً ومعنىً[١].

وجاء في شرح الزركشي: أن اليد تطلق حقيقة على المنكب وأن "إلى" أخرجت ما عدا المرفقين[٢].

وقال الإمام ابن رشد: إن اليد في كلام العرب تطلق على ثلاث معانٍ: الكف فقط، والكف والذراع، وعلى الكف والذراع والعضد[٣].

وقيل أيضًا: إن اليد عن العرب تقع على أطراف الأصابع إلى الكتف، وكذلك الرجل تطلق على الأصابع إلى أصل الفخذ[٤].

ثانيًا: أن "إلى" تكون بمعنى "مع" بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾[٥]، وهو المراد هنا[٦]، وحتى مع إنكار التناوب واللجوء إلى التأويل، فإن المعنى: ﴿ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ فاغسلوا أيديكم مضافة إلى

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٩.
(٢) ينظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي ١/ ١٨٨.
(٣)ينظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ١/ ١٨.
(٤)ينظر :الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٦/ ٨٦.
(٥) سورة النساء من الآية ٢.
(٦)ينظر :العزيز شرح الوجيز للرافعي ١/ ١١١.

المرافق، و ﴿ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ ﴾ أي: مضافة إلى أموالكم[١].

ثالثًا: أن "إلى" إذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فإنه يكون داخلًا في الغاية، جاء في المغني: «قولهم إن "إلى" للغاية. قلنا: وقد تكون بمعنى "مع"، قال المبرد: إذا كان الحد من جنس المحدود دخل فيه»[٢].

وقال النووي: "إلى" للغاية. وهو الأصح والأشهر، وإن كانت للغاية فالحد يدخل إذا كان التحديد شاملًا للحد والمحدود كقولك: بعتك هذه الأشجار من هذه إلى هذه، فالشجرتان داخلتان في البيع بلا شك لشمول اللفظ، ويكون المراد بالتحديد في مثل هذا إخراج ما وراء الحد مع بقاء الحد داخلًا، فيكون هنا اسم اليد شامل من أطراف الأصابع إلى الإبط، ففائدة التحديد بالمرفق إخراج ما فوق المرفق مع بقاء المرفق[٣].

رابعًا: الذي يفسر ذلك حديث أبي هريرة ﷺ والذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وفيه: «عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُجْمِرِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ "، ثُمَّ قَالَ: " هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ»[٤]، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

(١)ينظر :أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٩.

(٢)ينظر :المغني لابن قدامة ١/ ٩١.

(٣)ينظر : المجموع شرح المهذب للنووي ١/ ٣٨٦.

(٤) سبق تخريجه.

قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ أَدَارَ الْمَاءَ عَلَى مِرْفَقَيْهِ»(١).

(١) ينظر: السنن للدارقطني ١/ ١٤٢، كتاب الطهارة، باب وضوء رسول الله ﷺ، والسنن الكبرى للبيهقي ١/ ٩٣، حديث رقم (٢٥٦) ، باب التكرار في غسل اليدين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، ففي خاتمة بحثي أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أذكر أهم التوصيات التي ينبغي على أهل التفسير أن ينظروا فيها.

* أولاً: النتائج:-

* إن السياق القرآني هو تتابع الألفاظ والجمل والتراكيب القرآنية المتناسقة والمترابطة لأداء المعني وفهمه على مراد الله تعالي. فالمعاني القرآنية يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق التي سيقت فيه.

* للسياق القرآني أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم، فهو أصل عظيم من أصول التفسير، لا غنى للمفسر عنه، لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح في الآية.

* السياق من أعظم وجوه الإعجاز القرآني ودلائله التي تظهر القرآن كأنه كلمة واحدة ترتيبًا وتماسكًا وتناسقاً .

* ترجع أهمية السياق القرآني إلى استعمال النبي صلي الله عليه وسلم له واعتماده عليه في التفسير وسار على دربه السلف الصالح في اهتمامهم بالسياق، واعتمادهم عليه في فهمهم وتفسيرهم للقرآن الكريم، وجعله أصلا من الأصول التي يرجع إليها عند اشتباه المعاني، وإنكارهم على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي وردت لأجله .

* أن الحرف له معني في نفسه و له معني في غيره ولكل حرف معني أصيلا تعود إليه المعاني الأخرى ويفسر بناء على هذه المعاني .

* لحروف الجر أثر كبير في تغيير معني الجملة من خلال السياق القرآني التي سيقت فيه ولكل حرف من حروف الجر معني خاص به لا يؤديه غيره من الحروف .كما أنها تسهم في تغيير مسار التركيب وذلك من خلال ما يحمله من معانٍ تقع مسؤولية إيصالها إلى ما بعدها على عاتقة، وذلك في ضوء التعدد الوظيفي لحرف الجر الواحد وتعدد معانيه وما يدل عليه هذا التعدد من أثر في الاختلافات التفسيرية والفقهية.

* حرف الجر "إلى" معناه الأصلي انتهاء الغاية ودخول ما بعد "إلى" في حكم ما قبلها من خلال القرينة الدالة على ذلك.

* **ثانيًا: التوصيات:**

* الاهتمام بدراسة السياق القرآني لأنه هو الذي يوضح المعني المراد من كتاب الله عز وجل.

* الاهتمام بدراسة حروف الجر ودلالتها ومعانيها وأثرها في السياق القرآني.

* الوقوف على الأحكام الفقهية والمعاني التفسيرية المترتبة على معاني حروف الجر والعمل بموجبها.

فهرس المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢) الأزهية في علم الحروف لأبي الحسن على بن محمد الهروي، تح: عبد المعين الملوحي، دمشق سنة ١٩٧٠ م.

٣) الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) المحقق: عبد الحسين الفتلي. بدون.

٤) إعراب القرآن وبيانه المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١ هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦) الإيضاح في علل النحو المؤلف: أبو القاسم الزَّجَّاجي (المتوفى: ٣٣٧ هـ) المحقق: الدكتور مازن المبارك الناشر: دار النفائس – بيروت الطبعة: الخامسة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٧) بحث حول تحولات حروف المعاني في السياق القرآني د/ عبد الله

على الهتاري مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد الثالث والثلاثون الجزء الخامس عام ٢٠١٤م.

٨) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٩) بدائع الفوائد لابن القيم ط دار الكتاب العربي بيروت.

١٠) البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبي المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١١) البرهان في علوم القرآن الزركشي بن عبد الله، الزركشي (٧٥٥١ – ٧١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

١٢) التحرير والتنوير: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ هـ.

١٣) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١٤) تفسير ابن كثير : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٥) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٦) تفسير الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) تح/ على عبدالباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) لمحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٨) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

١٩) تفسير الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ). تحقيق ودراسة: عدد من الباحثين، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا. الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ –

١٩٩٩ م، دار النشر: دار الوطن – الرياض الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٠) تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢١) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٢) تفسير الشعراوي لمؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠ بدون.

٢٣) تفسير الطبري تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م.

٢٤) تفسير القرآن الكريم لابن القيم.

٢٥) تفسير المنار المؤلف: محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٢٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.

٢٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

٢٨) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢٩) الجنى الداني في حروف المعاني. المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن على المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩ هـ) الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، المحقق: د فخر الدين قباوة، الأستاذ/ محمد نديم فاضل. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك المؤلف: أبو العرفان محمد بن على الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٣.

٣١) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: الرابعة.

٣٢) الدر المصون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.

٣٣) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال ابن جرير الطبري لعبد الحكيم القاسم.

٣٤) الدليل إلى قواعد اللغة العربية لحسن محمد نور الدين، ط، ١، دار العموم العربية – بيروت.

٣٥) الرسالة. المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب الناشر: دار الوفاء المنصورة – مصر الطبعة: الأولى سنة١٤٢٢ هـ.

٣٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق سنة ١٩٧٥ م.

٣٧) زهرة التفاسير المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي

٣٨) السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن على بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٣٩) السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، لعبد الرحمن عبد الله المطيري.

٤٠) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة سعيد محمد الشهراني: ٢٢، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى. نقلاً عن: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير.

٤١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي تحقيق عبد القادر الأرناؤوط الناشر دار ابن كثير دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٤٣) شرح الأشموني لألفية ابن مالك لألفية ابن مالك المؤلف: على بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٤٤) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب المؤلف: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦ هـ تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د/ يوسف حسن عمر، عدد الأجزاء: ٤ تاريخ الطبع: ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م الناشر: جامعة قار يونس – ليبيا.

٤٥) شرح المفصل لابن يعيش بن على بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن

يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣ هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م عدد الأجزاء: ٦.

٤٦) شرح المقدمة المحسبة المؤلف: طاهر بن أحمد بن بابشاذ (المتوفى: ٤٦٩ هـ) المحقق: خالد عبد الكريم الناشر: المطبعة العصرية – الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٧٧ م.

٤٧) الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس. تحقيق: السيد أحمد صقر.

٤٨) عبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١ هجرية) العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، شرح خالد الأزهري الجرجاوي ت (٩٠٥ هـ) تح: البدراوي الزهران أستاذ اللغات بجامعة أسيوط، رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بسوهاج ط مزيدة ومنقحة.

٤٩) العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥٠) الفريد في إعراب القران المجيد للمنتجب حسين ابن أبي العز الهمداني المتوفى ٦٤٣هـ تحقيق د/فهمي حسن النمر، د/فؤاد على مخيمر ط الأولى دار الثقافة ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٥١) قواعد اللغة العربية، النحو التطبيقي من القرآن والسنة، تأليف: عماد على جمعة، طبعة ٣ دار الضياء للنشر القاهرة، ٢٠٠٣ م.

٥٢) الكتاب لـ عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠ هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م وطبعة دار الفكر بيروت – لبنان.

٥٣) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي لعبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري الحنفي المتوفى: ٧٣٠ هـ.

٥٤) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٥٥) اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٥٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبي الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب.

٥٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩ هـ) الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٥٨) مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

المدينة النبوية.

٥٩) المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٦٠) المخصص لأبي الحسن على بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تح: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م.

٦١) المدارس النحوية للدكتور أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المعارف عدد الأجزاء: ١.

٦٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧ هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد على النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى.

٦٣) معاني القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥ هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.

٦٤) معاني القرآن للنحاس لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨ هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات

محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٦٥) معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٦٦) معاني النحو. د/ فاضل صالح السامرائي، ط ٢ شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٧) المعجم الميسر في قواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، لمحمد أمين ضناوي ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٩ م.

٦٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١ هـ) المحقق: د. مازن المبارك دار الفكر – دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ م.

٦٩) المفردات في غريب القرآن. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٧٠) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، للأستاذ الدكتور/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

٧١) الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان.

٧٢) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر : دار القلم.

٧٣) نيل الأوطار للشوكاني لمؤلف: محمد بن على بن محمد الشوكاني الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

٧٤) وفيات الأعيان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

الـمقدمة
أهمية الموضوع:
الدراسات السابقة:
منهج البحث:
خطة البحث:
التمهيد: مفهوم السياق القرآني، وأهميته
أولاً: تعريف السياق القرآني في اللغة والاصطلاح:
ثانيًا: أهمية السياق القرآني:
أولاً: السياق من تفسير القرآن بالقرآن .
ثانيًا: السياق ركن من أركان الإعجاز القرآني:
ثالثًا: إعمال النبي – ﷺ – لدلالة السياق، واعتباره لها في التفسير.
رابعًا: إعمال السلف لدلالة السياق، واهتمامهم بها في التفسير .
خامسًا: أقوال العلماء في بيان أهمية السياق وأثره في التفسير.
الـمبحث الأول: حروف الجر في العربية
* الأول: تعريف الحرف لغة واصطلاحًا، وأهميته في الكلام .
* الثاني: أنواع الحروف والتعريف بحروف الجر وعددها وعملها .
* الثالث : معاني حروف الجر.
الـمطلب الأول: تعريف الحرف في اللغة:
تعريف الحرف اصطلاحًا:
أهمية الحروف في الكلام:
الـمطلب الثاني: أنواع الحروف والتعريف بحروف الجر وعددها وعملها
أنواع الحروف :تنقسم إلى قسمين:

تعريف حروف الجر وسبب تسميتها:

عدد حروف الجر:

المطلب الثالث: معاني حروف الجر

معاني حروف الجر:

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

أثر السياق القرآني في تحديد المعاني التفسيرية والفقهية لحروف الجر (نماذج مختارة من القرآن الكريم)

* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر «على»:
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر" في".
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر" في " و "من".
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر (الباء):
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حروف الجر الباء واللام وإلى:
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر"في" و"من".
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "على":
* ومن أثر السياق القرآني في تحديد معنى حرف الجر "على":
* ومن أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر"على" وإلى":
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "اللام":
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر اللام و "في":
* أثر السياق القرآني في تحديد معني حرف الجر "في" و"على":
* أثر السياق القرآني في تحديد معنى حرف الجر "على":
* السياق القرآني وأثره في تحديد معني حرف الجر "عن ":
* السياق القرآني وأثره في تحديد معني حرف الجر "من":
* السياق القرآني وأثره في تحديد معنى حرف الجر الكاف:

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني في تحديد المعاني التفسيرية والأحكام الفقهية المترتبة على معني حرف الجر "إلى"

أولاً: إذا كان المعني الأصلي لـ "إلى" هو انتهاء الغاية كما ذكر علماء اللغة فهل يدخل ما بعد "إلى" في حكم ما قبله؟

ثانيًا: لتوضيح ذ لك لابد من ذكر بعض الآيات القرآنية التي تدل على دخول ما بعد "إلى" فيما قبلها:

المثال الأول:.

المثال الثاني:

المثال الثالث:

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات